المختار الإسلامي

مجلة كل المسلمين www.almokhtar-aleslami.co

العدد ٣١١ - السنة ٢٩ - غرة رجب ١٤٢٩ هـ - ٤ يوليو ٢٠٠٨ م - الثمن ثلاثة جنيهات

روتوكولات حكماء العرب

الإنتصار للمظلومين فريضة إسلامية

لمقاومة

حتمية زوال إسرائيل

مع الباعة والمكتبات ودور النشر

خصم ٢٠٪ لقراء المختار الإسلامى وللجملة سعر خاص

السعر	اسم المؤلف	اسم الكتاب
٥,٠٠	د. نجيب الكيلانى	الظل الأسود
٥,٠٠	د. نجيب الكيلانى	حارة اليهود
٥,٠٠	د. نجيب الكيلانى	عذراء چاكرتا
٥,٠٠	د. نجيب الكيلانى	ليالى تركستان
٥,٠٠	د. نجيب الكيلانى	عمالقة الشمال
٨,٠٠	د. نجيب الكيلانى	رحلة إلى الله
٨,٠٠	د. نجيب الكيلانى	نور الله - الجزء الأول
٨,٠٠	د. نجيب الكيلانى	نور الله - الجزء الثانى
٥,٠٠	د. نجيب الكيلانى	على أبواب خيبر
٢,٠٠	د. نجيب الكيلانى	سراييفو حبيبتى
٥,٠٠	د. نجيب الكيلانى	أميرة الجبل
٢,٠٠	د. نجيب الكيلانى	نهاية طاغية
٦,٠٠	د. نجيب الكيلانى	الرايات السوداء
٥,٠٠	د. نجيب الكيلانى	رمضان حبيبى
١٥,٠٠	د. نجيب الكيلانى	مذكرات د. نجيب الكيلانى جـ١
١٥,٠٠	د. نجيب الكيلانى	مذكرات د. نجيب الكيلانى جـ٢
٨,٠٠	د. نجيب الكيلانى	عمر يظهر فى القدس
٨,٠٠	د. نجيب الكيلانى	قاتل حمزة
٥,٠٠	د. نجيب الكيلانى	رجال الله
٥,٠٠	د. نجيب الكيلانى	ملكة العنب

ومقرنا : ٣ حارة الجمل - السيدة زينب - تليفون وفاكس ٢٣٩٢٢١٥١

أسرة المختار الإسلامى تهنئ الأستاذ / ياسر محمود شلبى بقدوم ابنته الجميلة مريم .. أنبتها الله نباتاً حسناً ، وجعلها من الذرية الصالحة إن شاء الله ..

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

التمرد الطائفى .. والتضليل الإعلامى !!

تتكشف كل يوم تجليات التمرد الطائفي من خلال الحوادث التي يكون النصارى طرفاً فيها ، وتظهر ملامح تخطيط أقلية الأقلية في الداخل والخارج لقيادة الطائفة إلى مواقف مشينة ومعيبة وخاسرة ، من أجل إشباع شهوة قادة التمرّد في الظهور والشراء والتعبير عن التعصّب في ظل الشيطان الأكبر الذي يلعب بالسذّج والخونة في كل مكان بحثا عن مصالحه وطموحاته .. ولا يعنيه أبداً أن يخرج المتمردون من خدمته خاسرين ضائعين .. حتى لو هتفوا له وباسمه في مواجهة الأغلبية تمرّداً عليها ، واستعراضاً لعضلاتهم ..

في أحداث دير "أبو فانا" بملوي قتل الرهبان المسلحون مسلماً وأصابوا آخرين في نزاع على قطعة أرض "وضع يد" أراد النصارى الاستيلاء عليها عنوة أو بقوة النفوذ التي تجعل بعض السلطات تنحني أمام إرادتهم القاهرة ؛ وراحوا يبنون عليها سوراً لتتم ملكيتهم للأرض بالقوة ، ويتشرّد زرّاعها الفقراء المسلمون .. وقد جرت محاولات عديدة سابقة ، كان يتم فيها التفاهم العرفي أو الودي الذي يحفظ للزراع الفقراء المسلمين حقهم في زراعة الأرض والعيش منها .. أما هذه المرّة فقد تحوّل الرهبان ؛ دعاة المحبة والرحمة ومباركة اللاعنين وإدارة الخد الأيمن والأيسر والتبشير بقيم المسيح عليه السلام ، إلى محاربين وبلطجية يستخدمون السلاح (أنى لهم ذلك ؟) ضد الزرّاع الفقراء المسلمين ، وقتلوا واحداً منهم وأصابوا آخرين ! وواضح أن المسلم في مصر لا قيمة له ولا ثمن ، لأنه سقط متاع ، ولا تطبق الأحكام العرفية والقوانين إلا عليه .. أليس عبدا رخيصا في سوق النخاسة المعاصر ؟ أما الرهبان الذي قاتلوا بالسلاح فهم أرق من النسمة ، ويتطوع المنافقون والأفاقون بنفي تهمة استخدامهم للسلاح ، وكأن المصابين من المسلمين هم الذين أصابوا أنفسهم !

كان من الطبيعي وفقا لمواريث العرف الصعيدي أن ينتفض أهل القتيل ليأخذوا بثأره ، وينتقموا لشرفهم المستباح ، في ظل الدولة الرخوة الغائبة الخاضعة للتمرد الطائفي ، المدارية له دائماً من أجل عيون الشيطان الأكبر ، وخوف التشهير بها .. لم يستطع الصعايدة أن يقتلوا أحداً من الرهبان وانتهت المعركة بخطف أربعة منهم أطلق سراحهم بعد قليل ، وإصابة آخرين ، مثلما حدثت إصابة في

الفريق المكلوم المظلوم .. واستيقظت السلطة الرخوة آخر المطاف لتقبض على قرابة عشرة من المسلمين واثنين من النصارى أحدهما المقاول الذي كان يبني السور، والآخر ابنه ، وتم سحب اتهام الراهب الذي قيل أنه هو الذي أطلق الرصاص ؛ من أجل المواءمة وإخماد النار !

كانت الأمور تتجه إلى التصفية ، والجلوس عرفياً للمصالحة ، ولكن قدة التمرّد في الداخل والخارج حركوا عناصرهم من الخونة والمرتزقة ، ليقلبوا الحقائق ، ويشعلوا النار من جديد ، وجلجلت في الأفق ، وعلى صفحات بعض الصحف المحلية والدولية مقولات يسارية قديمة من عينة "استحلال الآخر" و"الاعتداء على الأقباط" و"الفتنة الطائفية" و"التطرف الوهابي" و"جماعات التخلف السلفية" ... إلخ ، وتوهجت مواقع النصارى على الشبكة الضوئية بخطابات الإثارة والكذب والتضليل لشن حرب صليبية ضد الإسلام والمسلمين وأجهزة الأمن المصرية والنظام المصري كله ، وانطلق المأجورون يرسلون بالبريد الإليكتروني رسائل تفرز قبحاً ودمامة وتعصباً وشيطنة للفقراء المسلمين عند دير "أبو فانا" ، بل إن كتبة النظام من الطائفيين المتعصّبين راحوا بلا خجل يدينون الإسلام والمسلمين ، ويستبقون التحقيقات ، ويخالفون الحقائق الساطعة سطوع الشمس ، وتتحدث عن المعتدى الطائفي المستقوى بالسلاح والبابا وأمريكا أنه ضحية المسلمين المتخلفين الذين يكرهون الآخر! ثم تحركت المظاهرات التي تضم مئات النصارى الذين تجمعوا من شتى الأماكن ليرفعوا اللافتات المهينة للدولة والمواطنة ، وتهتف للبابا ، وتستنجد بأمريكا وبوش ، وسبق أن قامت هذه المظاهرات عام ٢٠٠٤م لمناسبة إسلام وفاء قسطنطين التي اعتقلها البابا ، واستنجد المتظاهرون يومها بشارون ودعوه للتدخل في البلد البائس ، وكان من ضمن الهتافات أخيرا "أمريكا فين .. الإرهاب أهو" و"ولا هنخاف ولا حنطاطي خلاص بطلنا الصوت الواطي" .. ولا شك أن هذه الهتافات غايتها استفزاز المسلمين وإذلال السلطة وتحقيق مطالب غير مشروعة ، فضلاً عن جذب النصارى الذين لا يشاركون في التمرّد ، ويرون المسألة بمنظور آخر .

الأخطر من ذلك كله إصرار البابا على الظهور في صورة زعيم دولة الكنيسة ، وذهابه وهو مريض إلى المستشفى الذي يُعالج فيه الرهبان المصابون (كانوا على الأسرة بملابسهم الكهنوتية وتبدو صحتهم جيدة !) واشتكوا إليه من الاعتداءات المستمرة (!) ، وقد رد عليهم بأنه يعرف كل شيء وسيفعل اللازم وسيناقش الاعتداءات التي بدأت منذ عام ١٩٢٦م ، ولن يفوّت ما جرى ! وكأن دولة مصر العربية محيت من الخريطة ! ثم وهو الأخطر أنه أعلن رفض المصالحة ووضع رجاله ستة شروط مهينة ومذلة للنظام والمجتمع كله ليقبل بالجلوس للمصالحة !

نحن إذن أمام تخطيط يتجاوز الأحداث اليومية التي يمكن أن تجرى بين المسلمين أنفسهم ، إلى شئ آخر يبدو بشعاً وفظيعاً ، وخاصة إذا انطلق ردّ الفعل الأعمى من عقاله ، ولم تمكن السيطرة عليه !!

وإذا كان موقف اليسار الذي يتمرغ في المال الطائفي مفهوماً ، وموقف قادة التمرّد الطائفي العملاء معروفا ، فإن موقف بعض القساوسة غير مفهوم ولا معروف ، اللهم إلا إذا وضعناه في سياق القنابل أو الألغام التي بشّر بها الأنبا "بيشوى" فى كلامه للصحافة .. وما بالك بوكيل مطرانية ملوي الذي يُسوّغ قتل "المسلم" الذي راح ضحية سلاح الرهبان ، بأنه كان مختل العقل ، ويذهب إلى الدير باستمرار وكانوا يطردونه من هناك ، وأن أهله كانوا يتمنون موته ليتخلصوا منه ؟

هل هذا كلام يليق برجل دين فى تسويغ جريمة قتل بشعة ؟

هل يرضى أن يكون أخاه أو ابنه أو قريبه هو القتيل حتى لو كان مختل العقل ؟

إننا أمام تخطيط فيه جرأة ووقاحة وعدوان يستهدف الدولة كياناً وعقيدة وتاريخاً ، ويستهين بمصير الأقلية غير المسلمة لحساب الشيطان الأكبر ، ولا أظن قادة التمرّد سيكونون ببعيد عن آثار هذا التخطيط الإجرامي ونتائجه الكارثية ؛ لأنهم فى لحظة ما ستحترق أصابعهم على الأقل ، ولا بأس من تذكيرهم بالمعلم يعقوب الخائن ، ومصيره النكد !

أما كتّاب السلطة الطائفيون الذين يُدافعون عن التمرّد الطائفي ، ويُسوّغون تصرفاته الإجرامية - ومثلهم بعض المحامين المتعصّبين - فإن دفاعهم متهافت وغير مقنع ، ولعل إعلان الداخلية عن تعرّض محلات الذهب التي يملكها المسلمون لحوادث عنف أكبر بكثير مما تتعرض له محلات الذهب التي يملكها نصارى ، يلقم هؤلاء المتمرّدين حجراً ، ويؤكد أن صناعة الذهب وتجارته ليست حكراً على النصارى وحدهم ، ويُثبت أن التضليل الإعلامي للتمرّد الطائفي ، لن يُغيّر الحقائق ولن يُقنع المصريين أن الجماعات الإسلامية تستحل أموال النصارى وتعتدي عليهم ، وأن النصارى مضطهدون بسبب دينهم .. فهذا كله كذب وافتراء وزراعة للشر لن تنتج إلا الجحيم .

المختار الإسلامى

حديث الشهيد

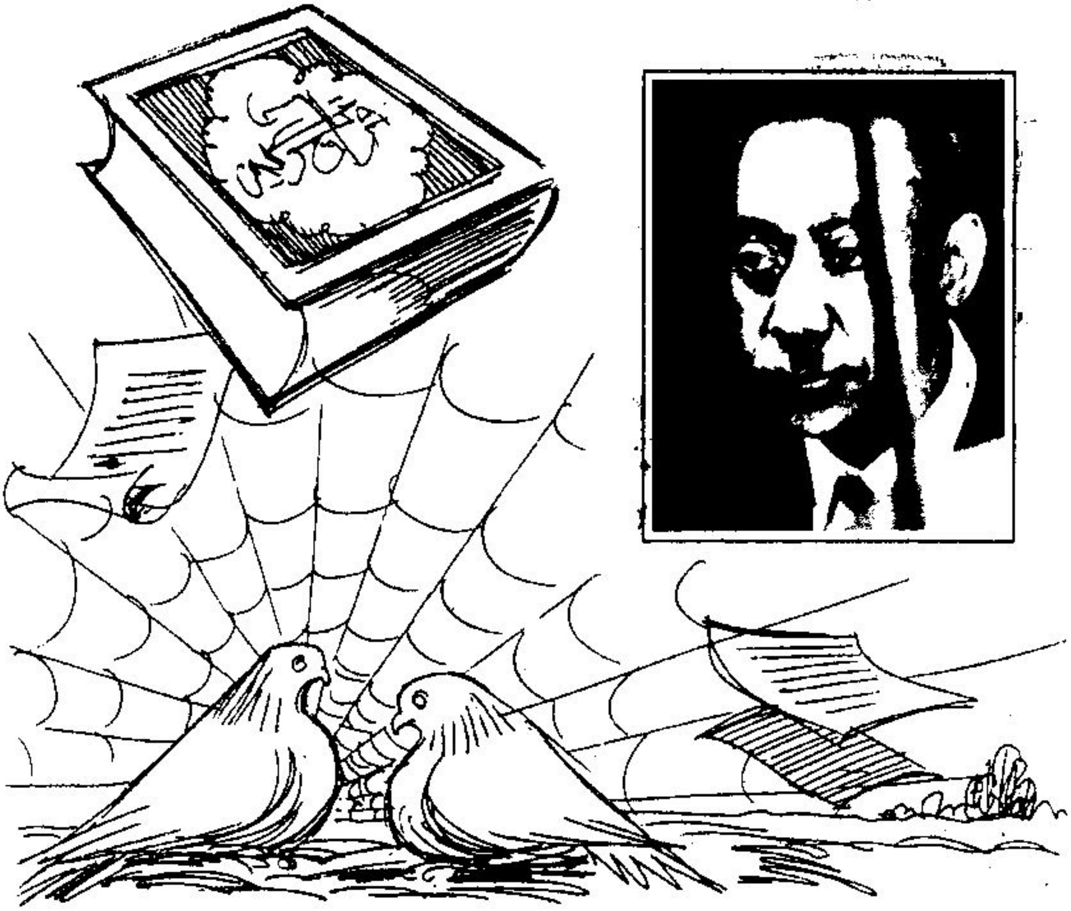

الذين ضل سعيهم !!

﴿ قل : هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا .. الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾ .

﴿ قل : هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ﴾ الذين لا يوجد من هم أشد منهم خسرانا ؟ ﴿ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ﴾ فلم يؤد بهم إلى الهدى، ولم ينته بهم إلى ثمرة أو غاية :

﴿ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ لأنهم من الغفلة بحيث لا يشعرون بضلال سعيهم وذهابه سدى، فهم ماضون في هذا السعي الخائب الضال، ينفقون حياتهم فيه هدرا .

قل هل ننبئكم من هم هؤلاء ؟

وعندما يبلغ من استثارة التطلع والانتظار إلى هذا الحد يكشف عنهم فإذا هم :

﴿ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم ﴾ .

وأصل الحبوط هو انتفاخ بطن الدابة حين تتغذى بنوع سام من الكلأ ثم تلقى حتفها .. وهو أنسب شيء لوصف الأعمال .. إنها تنتفخ وأصحابها يظنونها صالحة ناجحة رابحة .. ثم تنتهي إلى البوار !

﴿ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم ﴾ .. ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾ .

فهم مهملون، لا قيمة لهم ولا وزن في ميزان القيم الصحيحة (يوم القيامة) .. ولهم بعد ذلك جزاؤهم :

﴿ ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ﴾ .

ويتم التعاون في المشهد بعرض كفة المؤمنين في الميزان وقيمتهم :

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا .. خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ﴾ .

وهذا النزل في جنات الفردوس في مقابل ذلك النزل في نار جهنم . وشتان شتان !

ثم هذه اللفتة الدقيقة العميقة إلى طبيعة النفس البشرية وإحساسها بالمتاع في قوله ﴿ لا يبغون عنها حولا ﴾ .. وهي تحتاج منا إلى وقفة بإزاء ما فيها من عمق ودقة .

إنهم خالدون في جنات الفردوس .. ولكن النفس البشرية حول قلب . تمل الإطراد، وتسأم البقاء على حال واحدة أو مكان واحد ؛ وإذا اطمأنت على النعيم من التغير والنفاد فقدت حرصها عليه . وإذا مضى على وتيرة واحدة فقد تسأمه .. بل قد تنتهي إلى الضيق به ؛ والرغبة في الفرار منه !

﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (١٠٩)

هذه هي الفطرة التي فطر عليها الإنسان لحكمة عليا تناسب خلافته للأرض، ودوره في هذه الخلافة .. فهذا الدور يقتضي تحوير الحياة وتطويرها حتى تبلغ الكمال المقدر لها في علم الله . ومن ثم ركز في الفطرة البشرية حب التغيير والتبديل ؛ وحب الكشف والاستطلاع، وحب الانتقال من حال إلى حال، ومن مكان إلى مكان، ومن مشهد إلى مشهد، ومن نظام إلى نظام .. وذلك كي يندفع الإنسان في طريقه، يغير في واقع الحياة، ويكشف عن مجاهل الأرض، ويبدع في نظم المجتمع وفي أشكال المادة .. ومن وراء التغيير والكشف والإبداع ترتقي الحياة وتتطور ؛ وتصل شيئا فشيئا إلى الكمال المقدر لها في علم الله .

نعم إنه مركوز في الفطرة كذلك ألفة القديم، والتعلق بالمألوف، والمحافظة على العادة .. ولكن ذلك كله بدرجة لا تشل عملية التطور والإبداع، ولا تعوق الحياة عن الرقي والارتفاع .. ولا تنتهي بالأفكار والأوضاع إلى الجمود والركود .. إنما هي المقاومة التي تضمن التوازن مع الاندفاع .. وكلما اختل التوازن فغلب الجمود في بيئة من البيئات انبعثت الثورة التي تدفع بالعجلة دفعة قوية قد تتجاوز حدود الاعتدال .. وخير الفترات هي فترات التعادل بين قوتي الدفع والجذب، والتوازن بين الدوافع والضوابط في جهاز الحياة.

فأما إذا غلب الركود والجمود . فهو الإعلان بانحسار دوافع الحياة، وهو الإيذان بالموت في حياة الأفراد والجماعات سواء .

هذه هي الفطرة المناسبة لخلافة الإنسان في الأرض . فأما في الجنة وهي دار الكمال المطلق .. فإن هذه الفطرة لا تقابلها وظيفة . ولو بقيت النفس بفطرة الأرض ، وعاشت في هذا النعيم المقيم الذي لا تخشى عليه النفاد ، ولا تتحول هي عنه، ولا يتحول هو عنها

لانقلب النعيم جحيما لهذه النفس بعد فترة من الزمان ؛ ولأصبحت الجنة سجنا لنزلائها يودون لو يغادرونه فترة، ولو إلى الجحيم، ليرضوا نزعة التغيير والتبديل !

ولكن باريء هذه النفس - وهو أعلم بها - يحول رغباتها، فلا تعود تبغى التحول عن الجنة، وذلك في مقابل الخلود الذي لا تحول له ولا نفاد !

●●●

وأما الإيقاع الثاني فيصور العلم البشري المحدود بالقياس إلى العلم الإلهي الذي ليست له حدود ؛ ويقربه إلى تصور البشر القاصر بمثال محسوس على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير .

﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي، ولو جئنا بمثله مددا ﴾ .

والبحر أوسع وأغزر ما يعرفه البشر . والبشر يكتبون بالمداد كل ما يكتبون ؛ وكل ما يسجلون به علمهم الذي يعتقدون أنه غزير!

فالسياق يعرض لهم البحر بسعته وغزارته في صورة مداد يكتبون به كلمات الله الدالة على علمه ؛ فإذا البحر ينفد وكلمات الله لا تنفد .. ثم إذا هو يمدهم ببحر آخر مثله، ثم إذا البحر الآخر ينفد كذلك وكلمات الله تنتظر المداد !

وبهذا التصوير المحسوس والحركة المجسمة يقرب إلى التصور البشري المحدود معنى غير المحدود، ونسبة المحدود إليه مهما عظم واتسع.

والمعنى الكلي المجرد يظل حائرا في التصور البشري ومائعا حتى يتمثل في صورة محسوسة .. ومهما أوتي العقل البشري من القدرة على التجريد فإنه يظل في حاجة إلى تمثل المعنى المجرد في صور وأشكال وخصائص ونماذج .. ذلك شأنه مع المعاني المجردة التي تمثل المحدود، فكيف بغير المحدود ؟

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١١٠)

لذلك يضرب القرآن الأمثال للناس ؛ ويقرب إلى حسهم معانيه الكبرى بوضعها في صور ومشاهد، ومحسوسات ذات مقومات وخصائص وأشكال على مثال هذا المثال .

والبحر في هذا المثال يمثل علم الإنسان الذي يظنه واسعا غزيرا . وهو - على سعته وغزارته - محدود . وكلمات الله تمثل العلم الإلهي الذي لا حدود له ، والذي لا يدرك البشر نهايته ؛ بل لا يستطيعون تلقيه وتسجيله . فضلا على محاكاته .

ولقد يدرك البشر الغرور بما يكشفونه من أسرار في أنفسهم وفي الآفاق، فتأخذهم نشوة الظفر العلمي، فيحسبون أنهم علموا كل شيء، أو أنهم في الطريق !

ولكن المجهول يواجههم بآفاقه المترامية التي لا حد لها، فإذا هم ما يزالون على خطوات من الشاطيء، والخضم أمامهم أبعد من الأفق الذي تدركه أبصارهم !

إن ما يطيق الإنسان تلقيه وتسجيله من علم الله ضئيل قليل، لأنه يمثل نسبة المحدود إلى غير المحدود .

فليعلم الإنسان ما يعلم ؛ وليكشف من أسرار هذا الوجود ما يكشف .. ولكن ليطامن من غروره العلمي، فسيظل أقصى ما يبلغه علمه أن يكون البحر مدادا في يده . وسينفد البحر وكلمات الله لم تنفد ؛ ولو أمده الله ببحر مثله فسينتهي من بين يديه وكلمات الله ليست إلى نفاد .

سيد قطب

المقاومة وحتمية زوال إسرائيل !!

بقلم : محمد السروجي

رغم الاحتفال الذي وصف بالأسطوري للكيان الصهيوني في أرضنا المحتلة "فلسطين" من حيث الشكل والمضمون ورغم كم ونوعية الحضور من كل بقاع الأرض زعماء وقادة دول وإعلاميين، بل كل من كان له يد أو فضل في إقامة ودعم هذا الكيان الغاصب "الرئيس الأمريكي جورج بوش ورئيس وزراء بريطانيا السابق توني بلير وآخر رئيس للاتحاد السوفيتي السابق ميخائيل جورباتشوف وإمبراطور الإعلام اليهودي روبرت موردخ ، بالإضافة إلى وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر والفائزة بجائزة نوبل للسلام إيلي ويسيل والرئيس التشيكي السابق فاتسيلاف هافيل والبروفسور في جامعة هارفارد الأمريكية آلان ديرشويتس والملياردير الأمريكي شيلدون أديلسون وأيضاً حضور عبد الرحمن واحد رئيس دولة إندونيسيا المسلمة الأسبق على الرغم من عدم وجود علاقات دبلوماسية بين بلاده والكيان الصهيوني بالإضافة إلى حضور سيرجي برين مؤسس موقع "جوجل" العالمي ومارك جوكربيرج مؤسس موقع "فيس بوك" ، وهي مواقع إعلامية يفترض فيها الحياد ، إلا أن هؤلاء الحضور والآلاف أمثالهم الذين لم يتمكنوا من مشاركة الصهاينة الاحتفال لاعتبارات منعتهم، ورغم العروض العسكرية والحشود الأمنية والهدايا الدولية والتنازلات العربية فإنه لن يتوافر الأمن للصهاينة على أرضنا المحتلة ولن يهنئوا بأمن ولا أمان وستبقى أدوات وأذرع المقاومة تطاردهم حتى في أحلامهم لتحولها كوابيس، بل والأكثر من ذلك فهم مهنددون بإزالة دولتهم المزعومة وكيانهم الغاصب "هذه عقيدتي التي أتبناها وأدعو إليها".

شواهد زوال إسرائيل وهي ما أورد بعضها الأستاذ الدكتور عبد الوهاب المسيري في الكثير من مؤلفاته خاصة موسوعته "اليهود واليهودية والصهيونية" وتوقع نهاية وزوال الدولة العبرية خلال ٥٠ عاماً في حين بشر الشهيد أحمد ياسين بزوالها خلال عام ٢٠٢٠

ومن هذه الشواهد :

● الاحتفال غير العادي، والذي يؤكد على أن مجرد وجودها إنجاز يستحق كل هذا الصخب في الاحتفال، والذي أسماه البعض احتفال الخوف ووعود الوهم

● كثرة الكتابات والتحليلات الداخلية، والتي أصبحت مملة كما وصفها البعض من قبل الباحثين الإسرائيليين أنفسهم الذين لا ينكرون هذا الخوف .

● احتفاظ الأشكيناز (اليهود الغربيين) بعناوين ذويهم في الخارج .. وبعد توالي الهزائم زاد عدد من يطلبون الحصول على جوازات سفر غربية بالتزامن مع الهجرة العكسية من إسرائيل للخارج .

● التشابه الوظيفي بين إسرائيل ودولة المماليك لا يعني أن تستمر إسرائيل ٢٦٧ عاما "فالدورات التاريخية أصبحت الآن أكثر سرعة مما مضى .

● حالة التقهقر التي عليها إسرائيل بعد أن لحقت بها هزائم عسكرية متوالية منذ حرب الاستنزاف (في نهاية الستينيات) وحرب ١٩٧٣ والانتفاضة الأولى (١٩٨٧) والانسحاب من جنوب لبنان والانتفاضة الثانية والحرب السادسة أمام حزب الله، والتي أثبتت أن الجيش الإسرائيلي يُمكن أن يُهزم .

● هزيمة إسرائيل في الحرب مع حزب الله، والتي ساهمت فيها المقاومة الفلسطينية التي أتعبت إسرائيل بوسائلها رغم بدائيتها ؛ فلا يوجد لدى إسرائيل وسيلة لصدها حتى اقترح بعض الاسرائيليين أن يمدوا الفلسطينيين بصواريخ سكود حتى يمكنهم التعامل معها .

● اعتراف قيادة الأركان الإسرائيلي بأن

المؤسسة العسكرية مرهقة وأن حروب التحرير يمكنها هزيمة العدو وإنما إرهاقه حتى يُسَلِّمَ بالأمر الواقع علماً أن المقاومة في فيتنام لم تهزم الجيش الأمريكي وإنما أرهقته لدرجة اليأس من تحقيق المخططات الأمريكية وهو ما فعله المجاهدون الجزائريون على مدي ثماني سنوات (١٩٥٤-١٩٦٢) في حرب التحرير ضد الاحتلال الفرنسي .

● لم تعد إسرائيل هي الوطن القومي لليهود بل صارت وطناً كأي وطن يعيشون فيه، وهذا ما سبب قلة الهجرة في السنوات الأخيرة كما أكد مكتب الإحصاء المركزي إنه في عام ٢٠٠٧م وصل إلي إسرائيل ١٨٥٠٠ مهاجراً فقط، وهو العدد الأدنى منذ عام ٨٨

● دراسات مكتب رئيس الوزراء لتعزيز صلة وعلاقة يهود العالم مع "إسرائيل"، التي أفادت بالمعطيات التالية : ٧٠٪ من يهود الولايات المتحدة لم يكونوا أبداً في "إسرائيل" ولا يعتزمون زيارتها ، ٥٠٪ من يهود الولايات المتحدة متزوجون زواجًا مختلطًا ، ٥٠٪ من الشباب اليهودي هناك لا يهمهم إذا اختفت "إسرائيل" عن الوجود ، وفقط أقل من ٢٠٪ من يهود رابطة الشعوب يتعرضون لمضامين يهودية .

● ارتباط الهجرة بعوامل اقتصادية أكثر منها دينية أو سياسية .

● الانقلاب الديموجرافي المتوقع لصالح السكان العرب، والذي دعا الكيان الصهيوني بإعلان مسمى الدولة اليهودية وصدق عليه الكونجرس الأمريكي كإجراء استباقي لتهجير السكان العرب وغلق باب حق العودة لأراضي ١٩٤٨

● تنامي الوعي العربي والإسلامي، بل والإنساني بأهمية قضية فلسطين وحق المقاومة والعودة وغير ذلك من الثوابت القومية .

● الرهان الخاطئ على سلطة عباس وصقور فتح وخيار المساومة، بل وكل أنظمة الحكم العربي الموالية وفي المقابل التعاطف الشعبي مع تيار المقاومة .

● الوعود الوهمية التي منحها الرئيس الأمريكي بوش للكيان الصهيوني بداية من أن "أمن إسرائيل أولاً" وانتهاءً بأن إسرائيل ستحتفل بمرور ١٢٠ عاماً وسوف تمحو حماس وحزب الله وهو ما يؤكد الهاجس والفزع الأمني على واقع ومستقبل الكيان الصهيوني وأخيراً

بالإضافة لهذه الشواهد تأتي عقيدة جموع الشعوب العربية والإسلامية وكافة تيارات المقاومة فيها بعدم الاعتراف بمسمى الدولة العبرية ولا اليهودية ولكنها فلسطين قضية كل المسلمين الذين سيحررونها يوم تتحرر إراداتهم وقراراتهم، وهذا منتظر وفي القريب إن شاء الله .

محمد السروجي
مدير مركز الفجر للدراسات والتنمية
M_SROGY@YAHOO.COM

هل تصبح أفغانستان مركز مقاومة المشروع الأمريكي بدلاً من العراق ؟!..

كثير من الأمور والأحداث تقود الآن في اتجاه أن تصبح أفغانستان هي المركز الرئيسي لمقاومة المشروع الإمبراطوري الأمريكي، بعد أن كانت العراق ولمدة عامين ٢٠٠٥ ، ٢٠٠٦ هي ذلك المركز أو البؤرة الرئيسية لتلك المقاومة، ولكن هناك الكثير من الأسباب الموضوعية والذاتية تقود الآن في اتجاه أن تصبح أفغانستان هي ذلك المركز، وأن المقاومة الأفغانية تزداد قوة كل يوم بينما تعاني المقاومة العراقية عدداً من المشكلات والمعضلات التي أثرت على عملها كثيراً وأدت إلى نوع من التراجع بعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى من تحقيق نصر استراتيجي على الولايات المتحدة .

ما أسباب تراجع الدور العراقي المقاوم ، وزيادة الدور الأفغاني القادم ؟ ثم ما التداعيات المتوقعة من ذلك التطور ؟ هذه وغيرها أسئلة ينبغي الإجابة عليها خاصة بعد أن وصل الأمر بالمقاومة الأفغانية إلى أنها أصبحت تسيطر على الكثير من المناطق والمحافظات في جنوب البلاد وغربها وبعد اعتراف قادة حلف الأطلنطي بالفشل في أفغانستان وبحثهم المستمر عن طريقة لمنع الانهيار هناك ، ولعل حادثة الهجوم على السجن الرئيسي بمحافظة قندهار وتفاصيلها المثيرة تكشف عن المدى الذي وصلت إليه حركة طالبان من قوة ، وما وصلت إليه أمور القوات الحكومية وقوات الناتو المتمركزة في أفغانستان من تخبط وتفكك ، فقد استطاعت قوات تابعة لحركة طالبان أن تقوم في وضح النهار ، باقتحام السجن عن طريق دفع شاحنتين محملتين بالمتفجرات إلى سور

بقلم: د. محمد مورو

السجن ، ثم الدخول بدراجات نارية وقتل الحراس أو هروبهم ، ثم إطلاق سراح أكثر من ألف سجين بينهم ٤٠٠ من عناصر طالبان الذين كانوا محبوسين داخل أسوار هذا السجن بل وهروب هؤلاء المحررين إلى مناطق آمنة بعد ذلك ، وهذا يعني أولاً أن طالبان باتت تملك المقدرة العسكرية والتخطيطية والخيال الخصب وأنها من ثم باتت في حالة قوة لا يستهان بها ، وأنها تحظى بالرضا الشعبي لدرجة أن تتحرك بكل هذه القوات ولا يبلغ أحد عنها لتأتي الطائرات الأمريكية. لقصفها ، وأنها تكتمت الاستعدادات التي تمت لهذه العملية ، مما يدل على تماسكها الأمني والاستراتيجي ، ومن ناحية ثانية فإن تنفيذ العملية وإنهاءها وعدم تحرك لا قوات الناتو ، ولا قوات الحكومة ولا الطيران التابع لحلف الناتو لصد وإفساد تلك العملية يعني أن هناك خللاً كبيراً داخل معسكر الحكومة وأوساط حلف الناتو أدى إلى شلل شبه كامل ، وقد يقول البعض أن قوات الحكومة هي التي تعاني العجز ؛ لأنها لم تتحرك لمنع اقتحام السجن وقد كانت قريبة من موقع الأحداث ، ولكن قوات الناتو كانت بعيدة عن موقع الحادث ومن ثم فلا يمكن إلقاء اللوم عليها ، وهذا الكلام تنقصه الدقة ؛ لأن هناك طائرات تابعة لحلف الناتو يمكنها على الأقل المشاركة بسرعة ، ولكن الذي حدث أنه لا طائرات شاركت ولا قوات من الناتو ، ولا قوات من الحكومة مما يكشف الخلل الخطير والكبير في الموضوع ، ومما يؤكد أن زمام المبادرة في أفغانستان بات بيد قوات طالبان وعلينا أن نرصد في هذا الصدد أن طالبان التي انهزمت عام ٢٠٠١ وسقطت من السلطة ، استطاعت أن تعيد تنظيم صفوفها ، وأن تسير في اتجاه طردي نحو الفاعلية والثورة ، وأن مسيرتها في ذلك الصدد لم تكن متذبذبة كما هي الحال مع المقاومة العراقية بل إن طالبان تزداد قوة يوماً بعد يوم ، وأنه رغم أن الدول الغربية عموماً وافقت الولايات المتحدة على غزو أفغانستان وشاركت بقواتها من خلال حلف الناتو في ذلك الغزو ، في حين عارض بعضها في غزو العراق ، إلا أن طالبان صمدت أمام هذا الإجماع الغربي بما له من تداعيات عسكرية وإعلامية واستطاعت إقناع شعبها ، بل

والشعوب العربية والإسلامية بأنها حركة تحرر وطني ، وليست حركة تطرف وإرهاب، ويجب هنا أن نعترف بأن ممارسات طالبان رغم الظروف الدعائية والسياسية غير المواتية معها كانت أفضل بكثير من ممارسات المقاومة العراقية ، أو بعض فصائلها الكبيرة على الأقل ، والتي دخلت في معارك طائفية أو عشائرية لا مبرر لكثير منها ، وأنه على حين كانت المقاومة العراقية تعاني نوعا من الانقسامات وكثرة الفصائل وظهور أمراء وإمارات بلا مبرر في بعض المناطق ، ثم للأسف الشديد نجاح الأمريكان في اختراق الصف السني ، وهو الحاضن الأساسي للمقاومة ، وإنشاء ما يسمى بالصحوات "جمع صحوة"، الأمر الذي أضعف المقاومة كثيراً وأدى إلى تراجعها ، فإن المسألة بالنسبة لطالبان كانت مختلفة ، فهناك قيادة موحدة للمقاومة ، والتشرذم والانقسام غير مؤثر أو غير موجود أصلاً ، والشعب الأفغاني يلتف حول المقاومة خصوصاً في مناطق البشتون ، ثم إن هناك دعما هاما من القبائل على الحدود الباكستانية ، الأمر الذي يعني أن المقاومة الأفغانية، وتحديداً طالبان، ستصبح هي بؤرة مقاومة المشروع الأمريكي في المنطقة ، وفي الحقيقة فإن الانتصار الأفغاني سيعود أخطر كثيراً على أمريكا والغرب من الانتصار العراقي ؛ لأن الانتصار العراقي كان من الممكن تطويقه عن طريق الفتن الطائفية والحصار الإقليمي ، والتمدد الإيراني الذي لن يكون مواتياً مع المقاومة العراقية وغيرها من العوامل ، أما طالبان ، فهي أولاً قوة إسلامية معتدلة ، نجحت في إقناع شعبها لها امتدادات هامة في باكستان "طالبان باكستان" ، لا تعاني الانقسام والتشرذم ، ومن ثم فإن انتصارها سيعني ليس فقط تحول أفغانستان إلى بؤرة لمواجهة المشروع الأمريكي بل ستؤدي أيضاً ، وفقاً لنظرية الدومينو، إلى تساقط الكثير من النفوذ الأمريكي في آسيا ، بل ويمكن أن تتحول باكستان بدورها إلى بؤرة أخرى مجاورة ، خصوصاً بعد الأزمة التي تعانيها السلطة الباكستانية من حكومة أحزاب ورئاسة برويز غير المتوافقتين مع تصاعد مد حركة طالبان باكستان وزيادة نفوذ المناهضين لأمريكا ، خاصة في منطقة القبائل والحدود مع أفغانستان ولو تم هذا لكان معناه بداية نهاية أمريكا في العالم ، بل وبداية نهاية المشروع الغربي برمته، والذي صعد منذ ثلاثة قرون ثم ها هو يبدأ في النزول ، وربما كان ذلك بداية عهد العالمية الإسلامية الثانية

مشرف

، ولا ننسى أن الهـزيمة الأطلسـيـة في أفغانستان هي هزيمة للغرب كله وليس أمريكا وحدها ؛ لأن معظم دول الغرب تساهم في المجهود العسكري في أفغانستان من خلال حلف الناتو ، والأخطر أنها تساهم في المجهود السياسي والدعائي ، وأنها كانت ولا تزال مؤيدة وموافقة للغزو والاحتلال الأمريكي لأفغانستان في حين عارض بعضها الغزو الأمريكي للعراق .

الانتصار للمظلومين فريضة إسلامية

– الإسلام يحض المظلومين على عدم السكوت للظلم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ .. (النساء : ٩٧) .

ويحض المظلومين على الدفاع عن أنفسهم:

"ما من مسلم يظلم مظلمة فيقاتل فيقتل إلا قتل شهيدا" .. حديث صحيح تخريج السيوطي

ويحض على التصدي للظالمين :

"من رأى سلطانًا جائرًا مستحلاً لحُرَم الله ناكثًا لعهد الله مخالفًا لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل أو بقول كان على الله أن يدخله مدخله".

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرية إسلامية وهل يوجد منكر أكبر من الظلم .

الإسلام يأمر بالانتصار للمظلومين والدفاع عنهم :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ .. وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ .. وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ .. إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .. (الشورى : ٣٩) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"ما من مسلم يخذل مسلمًا في موضع تهتك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته، وما من امرئ مسلم ينصر مسلمًا في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في مواطن يحب فيها نصرته".

كما قال صلى الله عليه وسلم :

"لا يقفن أحدكم موقفًا يقتل فيه رجل ظلمًا فإن اللعنة تنزل على كل من حضر حين لم يدفعوا عنه، ولا يقفن أحدكم موقفًا يضرب فيه رجل ظلمًا فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه".

والله تعالى شرع الجهاد وفرضه على المسلمين للدفاع عن المظلومين مسلمين أو غير مسلمين، في كل زمان ومكان ورفع الظلم عن البشر أياً كان دينهم أو جنسهم أو لونه .. ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ .. (البقرة : ١٩٣) .

﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ .. (النساء : ٧٥) .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ .. (الشورى : ٣٩)

وفيما يرويه الرسول صلى الله عليه وسلم عن رب العزة "وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله أو آجله، وأنتقمن ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره فلم يفعل".

ويقول "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه".

مأزق تاريخي أم مشروع لقيط

يعبر الدكتور برهان غليون في كتابه "اغتيال العقل" عن فشل مشروع النهضة العلماني ووصوله بالواقع العربي إلى حالة مزرية من الاستبداد والتخلف والتبعية، يعبر عن هذا بقوله إنه انحباس، أو مأزق تاريخي، ويعترف الدكتور غليون أن هذه الأزمة، أو الانحباس، أو المأزق التاريخي لا يزال مستمراً لغياب المشروع الاجتماعي والثقافي والسياسي لحركة النهضة، والصحيح أن هذا المأزق، أو الانحباس كان بسبب هذا المشروع أساسًا؛ لأنه مشروع افتقد منذ اللحظة الأولى الجذور القادرة على النمو في التربة والاخضرار والإثمار فيها.

الموقف من مشروع النهضة العلماني الذي ساد الواقع العربي في القرنين الأخيرين، والذي استند أساسًا على الصدام مع التراث وتجاوز الهوية وأغفل مفهوم الصراع الحضاري مع الغرب وجعله مجرد صراع جزئي سياسي، أو اقتصادي، الموقف من هذا المشروع بالتحديد هو الذي يجعل المنحاز إلى هذا المشروع يرى هذا الأمر، أو ذاك محاولة للنهضة ويجعل الرافض لهذا المشروع يرى نفس تلك الأمور عمليات إجهاض للنهضة .

ففي حين يرى الدكتور غليون أن محاولة محمد علي للتصنيع وبناء الدولة كانت محاولة للنهضة، ثم يحلل أسباب سقوط هذه المحاولة ويجعلها في كونها حركة عسكرية بيروقراطية وقومية عاجزة عن تعبئة الطاقات العربية الفاعلة في تلك الحقبة، أو أنها سقطت تحت ضربات التدخل الأجنبي الغربي، أو أنها حرمت نفسها من منابع فكرية شكلت لأوروبا الناهضة مرتكزات قوتها الأساسية، وهي المنابع الفكرية والسياسية التي لا يمكن لنهضة أن تتحقق بمعزل عنها ويعود الدكتور غليون فيقول إن حركة اليقظة التي أعقبت إجهاض تجربة محمد علي قامت بسد الفجوات الفكرية في مشروع محمد علي وأسهمت في عملية إصلاح فكري وأيديولوجي وأدبي، وقدمت مساهمات تتعلق بتجديد أسس العقائد الدينية، أو تجديد الآداب واللغة العربية. ويصل الدكتور غليون إلى أن هذه اليقظة

العربية انتهت بتحقيق نظام إقليمي عربي عبر عنه تأسيس الجامعة العربية في القاهرة عام ١٩٤٥ ونشوء الدول العربية والهوية العربية، ثم يعود الدكتور غليون متابعًا ما يراه محاولات النهضة في حركة ١٩٥٢ في مصر من خلال البعد القومي والاشتراكي ويرجع الدكتور غليون فشل هذه المحاولة إلى تمحورها حول شخص الزعيم، وعدم قبولها إلا ما يدعم مركز هذا الزعيم السياسي، وبنائها نظامها الفكري على الدعاية الأيديولوجية الضيقة ونظامها الاقتصادي على تنمية براجماتية فاقدة للهدف البعيد وللاتساق الذاتي، وبدلاً من أن يعترف الدكتور غليون بالفساد في بنية مشروع النهضة العلماني، وأنه كان السبب في ضياع النهضة وإجهاضها وليس مجرد محاولة فشلت لأسباب تكتيكية، فإن الدكتور غليون راح ينتقد هذه المحاولات في إطار التماس العذر للمشروع وقصر فساده على الجانب التكتيكي منه وليس الاستراتيجي، وكان من المتوقع أن تتناقض أسباب الفشل التي اقترحها الدكتور غليون مع بعضها، أو أن تكون أسبابه هي بذاتها دليل على فساد

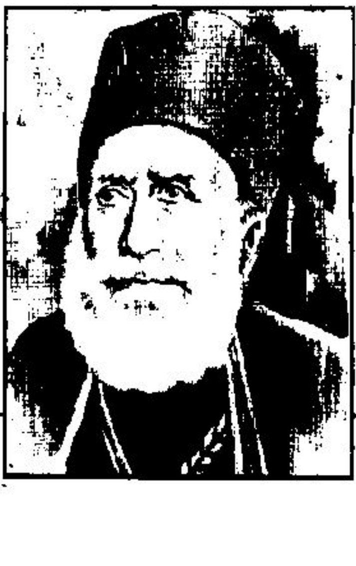

محمد علي

المشروع برمته، فإذا كانت محاولة محمد علي وعبد الناصر قد فشلت لاعتمادها على شخص وممارستها الاستبداد فهذا بذاته دليل على أنها ليست مشروعات للنهضة، فمشروع النهضة لا يمكن أن يحمل اسم مشروع إذا اعتمد على شخص، أو غيب الجماهير عمداً عن المشاركة الفعالة في المشروع .

والدكتور غليون يرى أن من أسباب فشل مشروع محمد علي غياب المرتكزات الفكرية، ثم يقول إن حركة اليقظة العربية التي ظهرت عقب فشل مشروع محمد علي قد سدت هذه الفجوة، ولكن الدكتور غليون نسي أو تناسى أن حصاد هذه اليقظة التي سدت الفجوات الفكرية في مشروع محمد علي كان حصاداً أكثر مرارة بل أدت إلى كارثة الاحتلال العسكري لبلادنا .

الصحيح والمنطقي والعلمي أن ما يسميه الدكتور غليون حركة نهضة ولو كانت محاولات فاشلة ما هي إلا حركات لإجهاض النهضة وأن كل ما فعلته هو أنها جمعت عن عمد تراكمات القوة والإيجابية في الواقع العربي وأهدرتها إهداراً فأضاعت المسار الصحيح للنهضة وأضاعت الموارد على حد سواء. والواقع أن ملامح وعوامل النهضة كانت قد بدأت تتشكل في مصر مثلاً قبل محمد علي، فالشعب المصري تحت قيادة علماء الدين المجاهدين كان قد استطاع أن يمارس جهاداً مسلحًا ناجحًا ضد الحملة الفرنسية ١٧٩٨-١٨٠١ وضد حملة فريزر الإنجليزية ١٨٠٧ : أي إنه حسم التحدي

الخارجي لصالحه، وكان أيضًا قد نجح في فرض إرادته السياسية على الوالي والخليفة حين فرض زعماء الشعب في انتفاضة ١٨٠٥ شروطهم السياسية والاجتماعية في أن يكون فرض الضرائب والممارسات السياسية عمومًا واختيار الوالي من خلال علماء الدين وأعيان الشعب ورءوس الطوائف مما يمكن أن تطلق عليه الاتجاه إلى حكم برلماني ونيابي، أي إنهم حسموا قضية الحرية والحكم لصالحهم، وفي مجال التصنيع كان ثوار القاهرة قد نجحوا في ثورة القاهرة الثانية ضد الفرنسيين في تصنيع البارود والمدافع وشارك في هذه الثورة كبار التجار من أمثال السيد أحمد المحروقي أي إن التمويل الصناعي كان جاهزًا والقدرة العلمية أيضًا مع الطاقة النهضوية الهائلة التي تفجرت من خلال مشاركة الشعب ونجاحه في حسم التحدي الخارجي والتحدي الداخلي في إطار الشريعة الإسلامية وتحت قيادة علماء الدين، أي من خلال القيادة الطبيعية للأمة ومن خلال أيديولوچيتها ووجدانها وكان من الطبيعي أن هذا التراكم في الوعي وهذه المشاركة الواسعة وتلك التركيبة الاجتماعية قادرة على البدء في مشروع كبير للنهضة قادر على حسم كل التحديات، ولكن محمد علي جاء ليفرغ هذه النهضة من محتواها، ويدمر بنيانها الاجتماعي فيفسد الأزهر ويحبس العلماء ويحول كل الموارد لصالح مشروع مرتبط بشخصه، ثم يستخدم هذا كله في الصراع مع الخلافة العثمانية فيضعفها لصالح أوروبا ويضعف مصر أيضًا وتكون النتيجة الحتمية ضياع وإجهاض مشروع النهضة الحقيقي وإفساح الطريق أمام أوروبا للسيطرة على العالم العربي والقضاء على الخلافة العثمانية .

ثم تظهر ما يسميها الدكتور غليون حركة اليقظة العربية، فإذا بها تضرب في ثوابت الأمة وتقطع جذورها وتحدث عملية مسخ ثقافي للذات العربية فتصيبها بالانفصام وبالتالي السلبية فتفسح بدورها الطريق أمام الاحتلال العسكري للبلاد العربية .

والأمر ذاته وبصورة أسوأ في تجربة عبد الناصر، فالأوضاع في مصر والعالم العربي في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات كانت أوضاع ثورة شاملة ضد الاستعمار، المشاركة الشعبية في الكفاح على أشدها وملامح النهضة الصناعية تتشكل من خلال عمليات المقاطعة للبضائع الأجنبية ومحاولات التصنيع التي قطعت شوطًا كبيرًا على يد أمثال طلعت حرب، وكذلك في وجود ظرف الحرب العالمية الثانية التي فرضت حماية جمركية إجبارية من خلال النشاط البحري للمتحاربين لمدة ست سنوات، واحتياج الحلفاء لاستيراد البضائع المحلية للمستعمرات مما دعم الصناعة المحلية دعمًا كبيرًا، ومن الطبيعي أن جنين الثورة والنهضة الذي تشكل في لمّ الأمة من خلال وجدانها وأيديولوچيتها الطبيعية كان قادرًا على النمو لولا الإجهاض الذي قام

به ضباط يوليو في مصر الذين قطعوا النهضة عن جذورها الفكرية الإسلامية الطبيعية واستخدموا الفكر لتبرير الاستبداد وجمعوا الموارد في مشروع مرتبط بشخص الزعيم فأهدروها إهداراً، وكانت النتيجة أنهم فصلوا السودان عن مصر مثلاً وسلموا لإسرائيل جيش مصر وسوريا والأردن لتمزقه تمزيقًا، وتحتل كل سيناء والضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان .

وهكذا فالصحيح أن مشروع النهضة العلماني، لم يكن مشروعًا بقدر ما كان إجهاضًا للنهضة، وأن الأوضاع المأساوية التي وصل إليها الواقع العربي ليست مجرد انحباس، أو أزمة، أو حتى مأزق تاريخي لمشروع النهضة العلماني، بل هو في جوهره كشف لحقيقة مشروع لقيط لا يمتلك مقومات لا صحيحة ولا خاطئة للنهضة .

فوضى الفتوى

مما لا شك فيه أن الفتوى الدينية عموماً، والإسلامية خصوصاً هي حاجة اجتماعية يحتاج إليها الفرد والمجتمع والأسرة، الرجل والمرأة، الشاب والشيخ على حد سواء، وبديهي أن أصحاب وأتباع دين معين يحتاجون إلى تنظيم حياتهم الاجتماعية والأسرية والمادية وفقاً للفتوى الدينية، بل إن مسائل الزواج والطلاق والميراث والزي والسلوك والمعاملات المالية وأنواع الطعام والشراب الحلال وغيرها كثير تخضع تماماً لموضوع الفتوى ، وأكثر الكتب توزيعاً هي كتب الحلال والحرام وكتب الفتاوى وهذا طبيعي ومفهوم ومعقول، ولكن المشكلة غياب ضوابط حقيقية لهذه الفتوى، فهناك مثلاً ظاهرة الدعاة الجدد - أو بعضهم إذا أردنا الدقة - يدخل في مناطق ليست من اختصاصه ولا هو مؤهل لها ، وصحيح أن الحديث عن الرقائق "القصص والأحداث والمواعظ التي ترقق القلب وتدعو إلى المكارم" هي من باب المباح والمطلوب ، ولا بأس أن يدخل هؤلاء الدعاة الجدد في ذلك المجال وتلك المساحة ، ولكن الدخول في مساحة الفتوى تحتاج إلى متخصصين وإلى ضوابط، ومن ناحية ثانية نلاحظ أن بعض الفضائيات تستضيف شخصيات لا يمكن أن تنطبق عليها أوصاف وشروط الفتوى، قد يكون البعض مثقفاً أو مطلعاً أو مفكراً إسلامياً، ولكن هذا شيء وضوابط الفتوى شيء آخر تماماً، وفي مجال الكتب أيضاً رأينا بعض الناس ممن توقفت دراستهم أصلاً عند المرحلة الإعدادية والثانوية ولم يتلقوا تعليماً دينياً منظماً، يصدر كتباً عن الحلال والحرام ويقع في أخطاء فادحة ، لمجرد أنه قرأ بعض الكتب أو المراجع الدينية وهذا أمر خطير ؛ لأنه يتصل بتنظيم حياة الناس ويمكن أن تترتب عليه مشكلات كبرى والجانب الاقتصادي في المسألة موجود أيضاً، فيمكن لشركة مثلاً تريد ضرب منتج في شركة أخرى أن تستصدر فتوى من هؤلاء "أشباه العلماء" وتقول إن بها حراماً أو شبهة ومن ثم فإن الفساد وارد جداً في هذا الصدد .

وبديهي أن العلوم الإسلامية كانت علوما لها منظومتها الخاصة المتصلة بإجازة أحد

العلماء - لابد أن يجيزه مجموعة من العلماء أو يحصل على شهادة من جامعة إسلامية معتمدة .. أما أن يكتفي بقراءة الكتب دون الحصول على شهادة من جامعة أو يجيزه العلماء المعتمدون فإن هذا نوع من التهريج لا يليق بالعلوم الإسلامية، ولنتصور مثلاً رجلاً قرأ في كتب الهندسة أو الطب هل يمكن السماح له بالإفتاء في الطب والهندسة أو إجراء العمليات الجراحية. نحن لا نضيق واسعاً، فباب الوعظ وذكر المناقب والقصص الدينية متاح لمن أراد، أما الفتوى فمسألة أخرى مختلفة تماماً تحتاج أولاً إلى عدد معين من سنوات الدراسة المنتظمة، تحتاج إلى إجازة من العلماء أو شهادة من جامعة إسلامية متخصصة، تحتاج إلى حفظ القرآن الكريم، وفهم التفسير، والتخصص في السنة النبوية، ثم دراسة أصول الفقه، وإجادة اللغة العربية، فضلاً عن الاضطلاع بالعلوم العصرية حتى يفهم المفتي الخلفيات العلمية والاجتماعية للسؤال الذي يجيب عنه، وهناك شروط أخرى مفصلة في كتب الفقه، من فقد شرطاً منها فقد شرط الفتوى ومن المفروض أن يمتنع عنها .. ولا شك أن الحياة تقدمت بصورة كبيرة، وظهرت مشكلات متجددة كثيرة ومتصلة بعلوم وأوضاع اجتماعية لم تظهر من قبل، وهذا يقتضي الاجتهاد ولكن من أهل الاجتهاد ويقتضي الإلمام بالعلوم العصرية، وإذا كان ذلك متعذراً للعلماء الدينيين، فيجب عمل لجان للفتوى تضم متخصصين في العلوم الدينية، ومتخصصين ني العلوم العصرية والعلوم الاجتماعية، والمضطلعين بضرورات وظروف المجتمع، حتى إذا خرجت الفتوى كانت بناء على علم بالأوضاع القائمة، وبأحدث العلوم الطبيعية والطبية والعلوم الاجتماعية أيضاً، لفهم حقيقة الموضوع علميا وموضوعيا ثم قياسه على النص الديني الثابت والأحكام المتغيرة. ثم تصدر الفتوى، فتكون صحيحة تدرك الظروف الموضوعية ، ولا تثقل على الناس ، وهذا بالطبع مهمة يجب أن تقوم بها الهيئات الدينية والجامعات ومراكز البحث بالتعاون مع الحكومات والهيئات المختلفة .

من يلبس القلنسوة السوداء بعد البابا شنوده

رغم أن البابا شنوده بطريرك الكرازة المرقسية رقم ١١٧ يعاني المرض لدرجة أنه يتردد على المستشفيات في الداخل والخارج أكثر مما يقبع داخل الكنيسة ، فإن الحديث عن خلافته يثير غضبه وامتعاضه ويعتبره نوعاً من الفأل السيئ ، ويروج المقربون له أن هذا الحديث عن خلافته يثير غضب الرب أيضاً !!.. وفي كل مرة يعود فيها البابا شنوده من المستشفى فإنه يراجع تصريحات الكهنة والقسس بهذا الصدد ويعاقب كل من تجرأ على الحديث عن خلافته أو التلميح لمرضه ، ولكن بالطبع فإن سلطات البابا على الكهنة لا

تمتد إلى العلمانيين من المسيحيين أو الأوساط غير الكنسية وكذا بالنسبة للساحة السياسية والفكرية المصرية والعربية ، لأن الشأن الكنسي الأرثوذكسي في مصر يهم كل المصريين مسلمين ومسيحيين " أرثوذكس وغير أرثوذكس وكذلك هو شأن عربي أيضاً ؛ لأن شخصية البابا واتجاهات الكنيسة المصرية تؤثر على الأوضاع السياسية المصرية والعربية داخلياً وخارجياً ، وليس بعيد عن الحقيقة القول أن هناك محاولات أمريكية مستمرة لاختراق الكنيسة المصرية واللعب بورقة الأقليات وهو أمر يؤثر بالضرورة على القرار المصري داخلياً وعربياً وخارجياً ومن ثم فهو ذو علاقة بالموضوع الفلسطيني مثلاً أو العراقي ، أو قدرة النظام المصري على ممارسة نوع من المناورة تجاه أمريكا في مختلف القضايا .

أياً كان الأمر فإن أوساطاً كنسية ومسيحية داخل الكنيسة وخارجها طالبت بتعيين نائب أو أكثر للبابا ؛ لأنه لا يقبل ترك الأمور بالكنيسة إلى صفة معينة تديرها وفقاً لمصالحها أو طموحاتها ، ومن ناحية ثانية فإنه لا يقبل أيضاً أن يدير البابا شنوده كنيسة من داخل غرفة في مستشفى كليفلاند بالولايات المتحدة الأمريكية، ومن ناحية ثالثة فإن هذا الأمر ؛ أي تعيين عدد من النواب أصبح ضروريا نظراً لاتساع شئون الكنيسة وأبراشيات الخارج وغيرها من القضايا المستجدة .

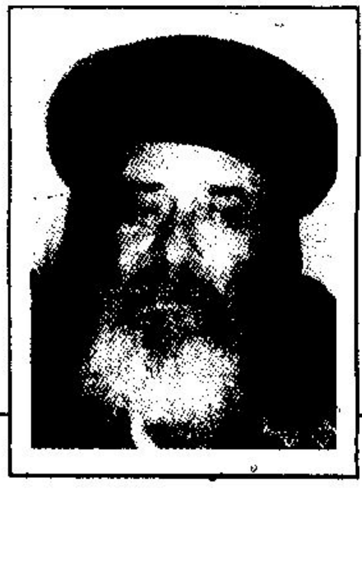
شنودة

لائحة انتخاب البابا

في ذات الوقت وتزامناً مع تدهور صحة البابا شنوده ، فإن هنالك مطالبات من داخل الكنيسة وخارجها أيضاً ، بتغيير لائحة انتخاب البابا ، وهي اللائحة التي كانت قد صدرت عام ١٩٥٧ وتم على أساسها انتخاب كل من البابا كيرلس السادس "١٩٥٩-١٩٧١" وانتخب بعده البابا شنوده الثالث منذ عام ١٩٧١ وحتى الآن ، وتنص تلك اللائحة على أن يتم الترشيح لمنصب البطريرك من بين الكهنة وأساقفة الأمور العامة مثل أسقفية التعليم والبحث والخدمات والشباب إلخ في حين تمنع أساقفة الأبراشيات أي الذين يتولون إدارة معينة مثل أبراشيات المحافظات والمدن أو أبراشيات المهجر ... إلخ وكان البابا شنوده شخصياً قد ترشح في انتخابات ١٩٧١ على أساس أنه يشغل منصب أسقف التعليم ، وتنص لائحة ١٩٧١ أيضاً على أن يتم الاختيار من بين هؤلاء المرشحين ، ويقوم بذلك عدد لا يصل إلى ألفين ناخب ، وهم الكهنة والأساقفة "والأراخنة "أي أعيان وأغنياء كل محافظة" ،

ويتم اختيار أعلى ثلاثة مرشحين أصواتاً ، ثم توضع أسماؤهم في أوراق لكل منهم ورقة باسمه ، وتوضع الأوراق الثلاث في صندوق داخل غرفة مظلمة ، ثم يقوم طفل بدخول الغرفة والتقاط ورقة واحدة من الصندوق ، فيكون الاسم الذي فيها هو المرشح للمنصب ، فيتم إخطار جهة الإدارة به ، حيث يصدر مرسوماً جمهورياً بتعيينه بطريركاً ، ومنذ صدور هذا المرسوم ، لا يمكن عزله عن المنصب اللهم إلا في حالة الجنون فقط ، وقد حدث مثلاً أن الأنبا صمويل كان هو أعلى المرشحين أصواتاً عام ١٩٧١ في حين كان الأنبا شنوده هو أقل المرشحين أصواتاً في تلك الانتخابات ومع ذلك خرجت ورقته هو من الصندوق على يد الطفل الذي قام بذلك ، فتم تجاهل صمويل الأعلى أصواتاً واختيار شنوده بطريركاً للكرازة المرقسية تحت اسم البابا شنوده الثالث "اسمه الأصلي نظير جيد" .

وقد تعرضت تلك النقطة بالتحديد إلى انتقادات من كثير من الدوائر المسيحية داخل الكنيسة وخارجها ، على اعتبار أن ذلك يتعارض مع العدالة ، ويتعارض مع الديمقراطيين ويأتي ببطريرك على غير رغبة أغلبية الناخبين ، ويرد المتمسكون بهذا الإجراء على ذلك بأن هذا الأسلوب يحقق إرادة الرب أكثر من أي أسلوب آخر ، فالرب هو الذي يختار من يترأس كنيسته !!..

وقد تقدمت عدد من الدوائر المسيحية بمشروعات لتعديل قانون الانتخابات ركزت على إلغاء تلك النقطة ، وعلى تحديد أكثر صرامة لمن يحق لهم الترشيح ، وعلى زيادة قاعدة الانتخاب والناخبين ووصلت إلى حد جعل من حق كل مواطن أرثوذكسي مصري بلغ ١٨ عاماً أن يقوم باختيار البابا "يبلغ عدد المسيحيين في مصر حوالي ٦٪ معظمهم من الأرثوذكس" .

الدولي والمحلي في اختيار البابا

الانتخابات الكنسية المتوقعة بعد وفاة البابا شنوده - والأعمار بيد الله طبعاً - ليست شأناً كنسياً خالصاً ، فهناك بالطبع مصالح للحكومة المصرية في اختيار مرشح معين ودعمه بالتالي ، على أساس أن البابا المرتبط بالنظام المصري يساعد هذا النظام في الكثير من الأمور مثل الانتخابات العامة ؛ فيدعو إلى انتخاب الحزب الحاكم، وقد حدث ذلك في حياة شنوده أكثر من مرة بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، وكذا الدعوة إلى انتخاب رئيس الجمهورية أو عدم مقاطعة الانتخابات ... إلخ ، وكلها أمور تهم النظام بالنظر إلى وجود حوالي ٢ مليون مسيحي لهم حق الانتخاب العام . وكذا فإن اطمئنان النظام لشخص البابا يريحه من إمكانية استخدام الأمريكان لورقة الأقليات مثلاً ، وفي المقابل فإن هناك دوائر أمريكية تريد بابا منفتحا وعولميا ، ولا يراعي الثوابت الكنسية المصرية في استقلال الكنيسة ، أو رفض إسرائيل

"حسب عقيدة الأرثوذكسية المصرية، فإن إسرائيل مرفوضة تماماً وعمل من أعمال الشيطان ، بل وكذلك النظرة إلى اليهود !!" ويمكن استخدامه كورقة ضغط على النظام وغيرها من الأمور ، من ناحية ثالثة هناك وجهاء الأقباط، وخاصة كبار الأغنياء، يريدون شخصية باباوية قريبة منهم ، لتحقيق أقصى استفادة رأسمالية وشخصية وسياسية منها ، فهنالك بالطبع الطموح الاقتصادي بل والسياسي لهؤلاء الأغنياء الأقباط ، وبعضهم أنشأ قنوات فضائية ومول صحفاً ويريد إنشاء حزب سياسي أو على الأقل استخدام النفوذ المسيحي والبطريركي في الحصول على مغانم سياسية .

في كل الأحوال ، وحسب الشائع حتى الآن والله تعالى أعلم ، فإن الحكومة المصرية تدعم الأنبا موسى أسقف الشباب الذي يحظى بثقة الحكومة ، ويقيم علاقات متوازنة مع المعارضة وجميع أنواع الطيف السياسي المصري ،

وكذلك فإن علاقاته مع شباب الكهنة والأساقفة جيدة ، وهو يتمتع بشخصية بسيطة تجعله محبوباً من الجميع ، وكذا فإنه يدعو إلى تغير لائحة انتخاب البابا ، ولا يميل إلى قيام الكنيسة بدور الحزب السياسي ، كما كان الشأن في عهد البابا شنوده ، أما الأنبا بيشوي والذي استطاع أن يحصل على ثقة البابا شنوده دائماً ، وأن يحصل على عدد كبير من المناصب داخل الكنيسة بل ويقوم باستغلال نفوذه في تصفية كل الكهنة والأساقفة الذين لا يرضى عنهم هو أو البابا شنوده وهو يشغل الآن منصب سكرتير المجمع المقدس ، فإنه يغازل النظام المصري ، ويدعو إلى قبول توريث نجل الرئيس مبارك "جمال مبارك" وكذا يغازل الأمريكان ، وهو مدعوم بقوة من أكبر الرأسماليين الأرثوذكس ، وهو الملياردير "ساويرس" صاحب شركة أوراسكوم ، أما الشخصية الثالثة المرشحة فهي الأنبا يؤانس الذي يعتمد على علاقاته القوية داخل المجمع المقدس ، ويروج أتباعه أن العذراء ظهرت له وبشرته بأنه البابا القادم ، وبديهي أن هناك مرشحين آخرين ، وأن خريطة التحالفات والعلاقات مرشحة دائماً التغيير والتبديل حتى آخر لحظة .

يقى أن نقول أننا استخدمنا كلمة القلنسوة السوداء بدلاً من العمامة السوداء ، رغم أن جميع الكتاب يستخدم كلمة العمامة ؛ وذلك للتمييز بين القلنسوة الأرثوذكسية والعمامة الشيعية .

د. محمد مورو

أبو خيثمة

بقلم: د. نجيب الكيلاني

سنوات قلائل، تلك التي مرت منذ أن هفا إلى الوجود شعاع الدعوة المحمدية .. ومع ذلك فاليوم ترى المدينة وقد احتشد فيها ثلاثون ألفاً مستعدين للزحف شطر شمال الجزيرة العربية حيث تتوثب جنود الرومان ..ما أعجب الزمان وتصاريفه! أهذا هو مصير الطريد المهاجر محمد الذي كان بالأمس مادة للسخرية، ومناط الإيذاء !.. فما له اليوم وقد فتحت له المدائن أبوابها وأسرعت إليه وفود القبائل، وزعماء العشائر يطلبون الأمان ويؤمنون بالله ؟.. ثم ها هو يتحرك كالطود الشامخ لينازل جحافل الروم الذين اعترضوا طريق الدعوة، وفرضوا الضغط والإجحاف ضد الحرية وأجنادها !..

اليوم قائظ، والشمس ملتهبة تكاد تشوي الوجوه، وتحيل جلاميد الصخر إلى كتل من النار المتأججة، وأبو خيثمة ينطلق بعوده النحيل ناحية المدينة .. إنه يمضي كاسف البال، شارد النظرات مضطرب الحركات، يحث خطاه نحو المدينة غير عابئ بما يتقد حوله من حر لافح، وقيظ أليم ..

إن أبا خيثمة قد أضحى فريسة للهم القاتل، والألم الممض، لقد مس الحزن شغاف قلبه فأقض مضجعه، وأرق نومه، وضميره الهادئ المطمئن .. صار مرتعاً للحيرة والشك وميداناً للاصطراع النفسي القاتل .. لم كل هذا الضنى والعذاب يا أبا خيثمة؟ إنك يا أبا خيثمة تتمتع بصحة قوية وذرية طيبة مباركة ولك من النساء، زوجتان كريمتان يؤنسان وحشتك فيهما حلاوة الحديث وجلال الطلعة، وبشاشة الرضا، ولك بيت من أجمل بيوت المدينة وأروعها يحفه بستان فواح النبت، نضير الأشجار، عبق الشذا ولك من الإبل والأغنام والمال ما يقر عينيك، ويرضي دنياك، ويهنئ به الفؤاد ...!!

ماذا بعد ذلك يا أبا خيثمة ؟ ألم يتم الله عليك نعمته بالإسلام فآمنت، وانتظمت في سلك الداعين إلى الله، وخضت مع محمد صلى الله عليه وسلم المعارك حاملاً حياتك على كفك، غير هياب ولا وجل، تشري الحياة الآخرة بالدنيا الفانية !!

لكن آه يا أبا خيثمة !!.. إنك لن تنسى

أبداً تلك الليلة الليلاء، ولن تنسى ما أصابك من بله وخيبة آنذاك، وأي بله وأي خيبة يا أبا خيثمة!".

إن أبا خيثمة ليذكر تماماً ماذا حدث في تلك الليلة ويذكر مدينة الرسول ولا حديث لها غير التعبئة العامة التي دعا إليها الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو خيثمة يذكر تماماً كيف وسوس له الشيطان بحديث كله تقاعس وتثبيط وزيف ودهاء .. فما لمحمد وللرومان ؟ إن دون الوصول إليهم آماداً طويلة وفيافي قاحلة، ومشاقٌ تنوء بحملها الجبال، إن الطريق إليهم كله أهوال، ثم إننا معشر المسلمين لم نكد نضع السيوف في أغمادها، ولم تكد تأوى الإبل إلى مرابضها، حتى يتهيأ لنا ولها قسط من الراحة، حتى يدعو النفير .. وتدق طبول الجهاد من جديد !!..

ثم هناك كثيرون غيري يستطيعون أن يديروا رحى الحرب، ويشعلوا نارها، ولن يضيرهم أن يغيب أبو خيثمة !!. لكن .. كيف ذلك يا أبا خيثمة ؟!.. إن القرآن يقول : ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً، وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ .. هذا صحيح غير أنك يا أبا خيثمة قد ساهمت بسهمك وأدليت بدلوك وماذا عليك لوتخففت من أعباء النضال ولو مرة واحدة ؟..

ثم أخذ الكرى بمعاقد أجفان أبي خيثمة بعد أن قضى شطراً طويلا من تلك الليلاء وهو نهب للأفكار المتباينة والهواجس المضطربة والمشاعر الموزعه المختلطة .. وكان نوماً مليئاً بالأحلام المتصلة المزعجة ..

وأصبح الصباح ولا حديث للمهاجرين والأنصار غير الجيش المتأهب للارتحال، ويدرك المار في شوارع المدينة ومنعرجاتها انشغال المسلمين بالمعركة المقبلة، فهذا فتى قد حمل سيفه، يروح ويغدو في فخر وأمل، ويبسم للغد المجهول ويمني نفسه بالنصر المؤزر، ولا شئ غير النصر بإذن الله .. وهذا صبي حدث السن يتعلق بثوب النبي واضعا حياته بين كفي الرسول حتى ينال الشهادة في سبيل الله، فيمسح النبي صلى الله عليه وسلم على رأسه مبتسماً داعياً له بالبركة والخير وهناك في طرف من أطراف المدينة حشد من الشباب قد أقاموا معسكراً بدائياً يتدربون فيه زحفاً على الروم ولقاء بالسيوف وتسابقاً على إطلاق الرماح .. وفي جانب آخر أحد الخبراء بضروب الحرب ووعثائها وأسفارها، يخط برمحه مبيناً موضحاً، وفي شوارع المدينة يجري الغلمان في فرح ومرح يرددون أناشيد الجهاد في عذوبة بارعة، وسذاجه فطرية، ولو أتيح لعين أن ترقب ما وراء جدران البيوت لرأت ربات الحجال، وهن يلقين الأحاديث عن كيفية تضميد الجروح وإسعاف الساقطين في ميدان الوغي .. وطبيعي أن يرى المسجد الكبير في المدينة وأفواج المسلمين لا تكاد تنقطع عنه مصلين مبتهلين ..

وارتحل الجيش نحو وجهته .. وكان أبو خيثمة من القاعدين المتقاعسين، وآب إلى بيته يقتات الألم ويلوك الأوجاع والأحزان، فلا امرأته الأولى تسليه، ولا زوجة الثانية تذهب بابتسامتها عنه الأحزان ولا بستانه بأريجه

الفواح ونسيمه العاطر بالذي ينعش حياته، ويبعث النشوة في قلبه ..

ويحك يا أبا خيثمة، ليتك تستطيع أن تشتري راحة البال ورضاء الضمير بدنانيرك كما تشتري الإبل والمتاع، إنه القلب يا أبا خيثمة بين أصابع الرحمن وحده، مقلب القلوب والأبصار، إن الحياة إذا اجتاحتها الهموم، وتشربت باليأس والأرق، أضحت جحيماً ما بعده جحيم، فلا شفاء يا أبا خيثمة مما أنت فيه إلا بالموت !! الموت ؟! دع الموت جانباً يا أبا خيثمة، لقد آثرت الفرار منه، وهو الذي كان يفر منك يوم الطعان والجلاد .. إن أقرانك يا عرض الصحاري في إباء لا يعرف الخنوع، وهمة لا تعرف الفتور ..

ثم تفيض عيون أبي خيثمة بالدمع السخين بينما تتوارد الخواطر على مخيلته، ويهتف في تشبث وإصرار وإيمان : "يا رب .. رحمتك يارب" .. ثم يعود أبو خيثمة لذكر الأقران والخلان الذين خاضوا - ويخوضون - مع النبي صلى الله عليه وسلم الغمرات. ويقول لنفسه : أترضى بالحياة بعدهم ويلذ لك المقام ؟..

وضاقت الحياة بأبي خيثمة، كما ضاقت به نفسه، وأفزعته الأحلام كما روعته الحقائق الجلية، فما إن لاح الصباح حتى يمم وجهه شطر الهضاب تاركاً المدينة خلف ظهره لعله يلقي شيئاً من هدوء البال وراحة الضمير في جو الصحاري الهادئ الوادع، وبينما هو في سيره إذ به يسمع صوتاً ندياً مجلجلاً ينبعث من بعيد فيثير الشجن، ويأخذ بمجامع الفؤاد .. ما هذا ؟.. لعله صوت حاد من حداة النجائب، وقادة الركبان وقد آبوا من سفرة طويلة؛ وما إن اقترب وقت الظهيرة حتى كانت تلك الإبل المقبلة على قيد خطوات منه وإذا بحاديها يبدؤه بالسلام؛ ويقبل على أبي خيثمة مقبلاً ومعانقاً؛ ولم يخطئه أبو خيثمة فقد عرفه في التو واللحظة؛ فهو أحد أصدقاء صباه؛ ورفقاء شبابه؛ يقطع عمره في الأسفار والرحلات من أجل التجارة ..

وجرى بينهما الحديث متشعباً وقطع صديقه التاجر الحديث فجأة .. وقال :

- "الم يأتك نبأ محمد يا أباخيثمة ؟".
- "ماذا بربك عنه وعن جيش المسلمين؟".
- "أتقصد جيش العسرة ؟.".
- "عسرة؟ أية عسرة ؟ إنهم ثلاثون ألفاً من المسلمين الأشداء"..
- "أجل.. لكن كانت في طريقهم أهوال".
- "أكمل بربك الحديث" ..
- لقد نضبت عليهم آبار الماء؛ ونفقت منهم الأنعام على قلتها؛ والتي لم تمت ذبحوها حتى يمتصوا من أمعائها بعض الماء من شدة العطش وصار كل ثلاثة يتتابعون على ظهر دابة واحدة، بل الأنكى والأمر من ذلك يا أبا خيثمة أنهم يعتصرون روث الدواب حتى يقطر لهم بعض الماء ليشربوا .

وصمت التاجر العربي هنيهة بينما هتف أبو خيثمة في انفعال : لهف نفسي على محمد وأصحاب محمد، لهف نفسي على السائرين في بطون الصحاري، يشدون الرحال إلى الله ويحثون الخطى نحو الجنة !!!

عاد أبو خيثمة إلى بيته دامع العين وقد

اعـتـزم أمـراً، وبانت على وجـهـه عـلائم الجـد واتسـمت مـلامحه بسـمات الصرامة والإصرار الأكـبر. وغـاضـبت الابتـسـامـة من صفـحـات وجـهـه، ولم يبق إلا بريق عـينيـه وهمـا يتـقـدان عزماً ويشعان إصراراً .. ترى ماذا ينتوي ؟

ودخل منزله بالمدينة، فوجده كعهده به هادئا ساكنا يوحي بالرضا والطمأنينة، ولكن أني له الرضا، وأني له الطمانينة ؟..

وجد زوجتيـه يشرق وجهُهـمـا بالنضـارة والوسامة ويفيض حباً ووفاء، وعند كل منهـمـا وجد طعـامـاً شـهـيـاً طرياً، ومـاء عـذباً لكن أي طعام ذاك ؟.. والله لبضع بلحات جـافـة مع مـحـمـد وصـحـبـه أحب إلـيـه من خـراف لذيذة شهية، وإن تلك القطرات التي يعتصرونها من روث الدواب في قلب الصحراء لأشهى لنفسـه من أي شراب في الدنيا .

ثم ينظر أبو خـيـثـمـة إلى بسـتـانه الفـواح العبق فـيـهـتف به قلبـه قـائلاً : والله إن لـهـيب الصحراء وجدبها وجفاف ريحها لأحب شئ إلى الأحرار المؤمنين، وهم غزاة في سبيل الله .

- "أبعدا عني هذا الطعام .

احملا عني ذاك الماء العذب البارد، فما بي ظمأ وجوع إلا إلى الله .. إلى الأحباء .. أأبو خيثمة هنا في الراحة والنعيم ورسول الله في الشـمس والريح .. هلموا إلى بجوادي وسيفي وزادي .

فوالله لن أدخل عريشة أحدكما إلا بعد أن ألحق بمحمد".

وانطلق أبو خيثمة كالقضاء النافذ، إلى الشـمـال، إلى جيش العسـرة وانطلق جـواده يسابق الريح وأبو خيثمة يعبر بخياله الآكام ويسابق بآماله الجواد، وخفقات قلبه تسرع في نبضهـا، مرحى مرحى .. سيلقى محـمـداً وصحبه الأبرار .

واسـتطاعت الراحـة والهـدوء أن يعـرفـا طريقهما إلى قلبه .. ومس برد السلام شغاف فؤاده، وقر ضميره الحائر، وبدت الدنيا أمام عينيه براقة سعيدة وانماعت أمام بصره سالف الأوهام والآلام .. ألا ما أحلى راحة الضمير، وهدوء البـال ! ومـا أحلى صـفـا ء النفس إذا شقت طريقها إلى الله !!

وسار أبو خيثمة تسلمه الوهاد إلى الوهاد . لا تثنيه حرارة الشمس .. ولا يمنعه ظلام الليل .. ولا يبئسه بعد الشقة ووعثاء الطريق .

ولاحت في الأفق لعـيـني أبي خـيـثـمـة مضارب الخيام، ورايات المهاجرين والآن وكلما اقترب تناهي إلى سمعه جلجلة رائعة، كلها تكبير لله وتحميد.. ، دعاء . وضراعة .

والتـقى أبو خـيـثـمـة بالسـرايا والطلائع المسلمة المنبثة في شتى الفجاج والمشارف التي تحيط بالجيش .. جيش العسرة الذي يرابط في "تبوك".

ثم كـان اللقـاء الحـار والعنـاق الطويل .. والدموع المختلطة بالبسمات .. والقبلات الخالصة الوفية .. أليسوا رفقاء الجهاد، وإخوة الإسلام، وأحباء الصبا والشباب ؟

ولم يبرز للمسلمين وهم في تبوك أحد ليناولهم أو يناوشهم .. وانسحب الأعداء قابعين خلف حدودهم لاينوون حرباً ولا شراً، أما القبائل العربية الشمالية المتنصرة، فقد لاذت بالاستسلام التام والخضوع لأمر المسلمين، ووفدت على محمد صلى الله عليه وسلم رسلهم وهم يحملون إليه الود والمحبة والسلام فاستبشر محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الفتح الذي جاءهم سهلاً بعد ما لاقوه من متاعب الطريق ومشاقه، فأعطاهم الأمان، وأبرمت مواثيق الصلح، وعهود الجوار الصادقة الوفية .

ثم سار ذكر جيش العسرة: وانتصار المسلمين في تبوك في كل مكان، وتحدث بذكره البدو والحضر وقبع المنافقون في أوكارهم يعضون من الغيظ على الأنامل لا تقمعه سدود، ولا تصده إمبراطوريات، ولا يفل من عزمه طغاة متربصون .

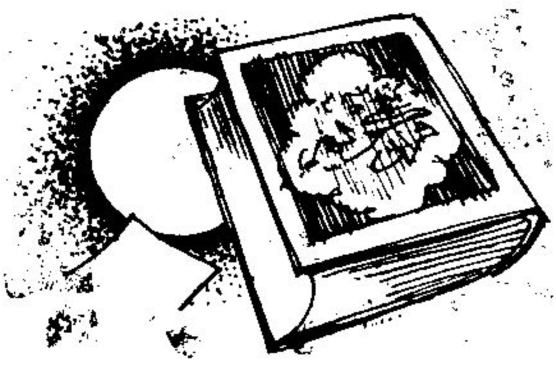

ثم كانت العودة الميمونة ..

- ها هو أبو خيثمة يميس طرباً على جواده الحبيب ممتشقاً حسامه بيمينه، ويبدو بين صحابه وأخدانه في لبوس الحرب كأحسن ما يكون فرحاً وسعادة وبشراً، وها هو النبي صلى الله عليه وسلم يشرق بطلعته في المقدمة، وسحر البيان ينسال من فيه فيأخذ بمجامع القلوب، وها هم الجنود الأحرار تتعالى أصواتهم بالتكبير والتهليل ..

إن أبا خيثمة ينظر إلى المدينة من بعيد، فتبدو له أبنيتها ونخيلها .. ثم يسرع خياله إلى داره الوادعة، وبستانه الجميل، وزوجتيه الحانيتين ثم يتذكر ذاك النصر الذي أيد الله به المسلمين، فيخفق قلبه خفقات غامضة حبيبة إليه، ويلتفت إلى من حوله فيهتف من أعماقه مكبراً مهللاً .

وما إن يدخل الركب الرباني الخالد إلى المدينة، حتى تصل إلى مسامعهم أصوات الغلمان الأحباب، الفرحين بنصر الله، والمرددين بعودة آبائهم وإخوانهم، أصواتا صادقة بريئة ساذجة، ولعل أبا خيثمة قد سمع بين هاتيك الأصوات، صوت أحد أبنائه وهم يرددون معاً النشيد القدسي الخالد الذي استقبلوا به الرسول صلى الله عليه وسلم ذات يوم :

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله .. داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة ... مرحباً يا خير داع

د. نجيب الكيلاني

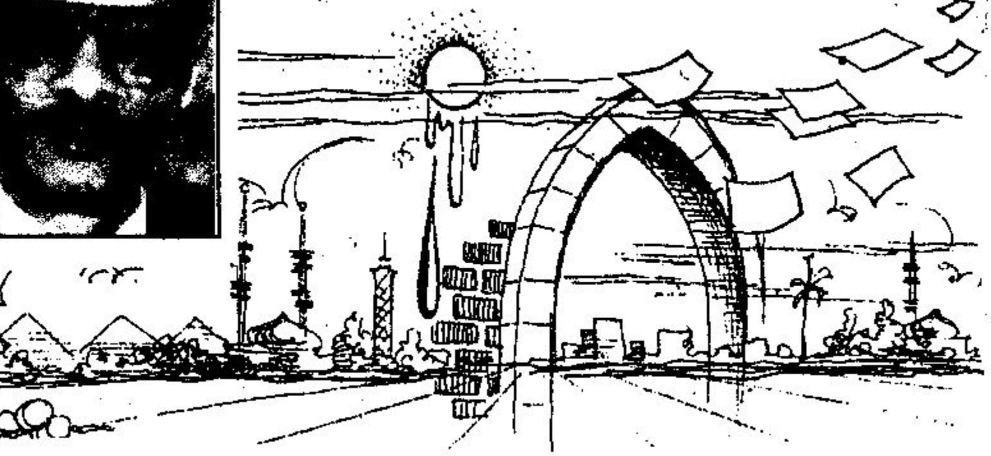

فى نقد البعد الاقتصادى للعولمة

بقلم : أحمد رشاد حسانين

لقد أثارت العولمة وفي شتى بقاع المعمورة عمليات واسعة من الجدل والمناظرات، وعقدت حولها العشرات من المؤتمرات والندوات، وحلقات البحث والنقاش كانت ولا تزال متواصلة يوماً بعد يوم، وتتفاوت فيها الأصوات بين مؤيد ومعارض .. مؤيد قوي ومعارض عنيد، وبينهما فريق يقترح تصورات وأفكار هدفها التقليل من نسبة الخسائر الناجمة عن إجراءات العولمة، وإفساح آفاق أوسع للإفادة من موجة التنمية والتقدم التي يمكن أن تصاحب العولمة طبقا لمزاعم المؤيدين بحيث تشمل العالم غنيه وفقيره، ولم يتوقف الاهتمام وإبداء الرأي على الحوار الهادئ وإنما امتد إلى المظاهرات الغاضبة والاحتجاجات الساخنة التي شاركت فيها الألوف الهادرة والخائفة من آثارها، وقد جاءت من بلدان مختلفة أثناء انعقاد مؤتمراتها وقمم القادة والرؤساء والمسئولين مثل : مؤتمر "سياتل" في الولايات المتحدة و"چنوه" في ايطاليا، و "دافوس" في سويسرا، وفي هذه المظاهرات سقط قتلى وسالت دماء جرحى هم شهداء العولمة وضحاياها، بينما يرى المؤيدون للعولمة أنها لحظة رائعة في تاريخ البشرية، يحدث فيها تفوق السوق على الدولة، والاقتصاد على السياسة، وهذه اللحظة جاءت بمكاسب صافية للبشرية جمعاء متمثلة في :

- ارتفاع ملحوظ في الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي للعالم .
- ارتفاع حجم الصادرات العالمية .
- ارتفاع متوسط معدل نمو دخل الفرد سنوياً في البلدان النامية .
- زيادة سرعة تدفقات رءوس الأموال

الخاصة في هذه البلدان .

وبينما بشر المؤيدون للعولمة بأنها مكسب خالص للبشرية، يرى المناهضون لها أن متاعبها لا حصر لها منها .

- تزايد الاستقطاب لمصلحة الأقوياء على حساب الضعفاء .

- التدهور المستمر للبيئة من جراء تصرفات الأغنياء ولحسابهم بما يضر الفقراء .

- زيادة استهلاك المياه أيضاً لحساب الأغنياء ويصبح النقص في موارد المياه أكثر القضايا تفجراً في القرن الواحد والعشرين على نحو قد يسبب الخراب الاقتصادي أو قد يفجر الحروب الإقليمية .

انتقال الحرب إلى الميدان الاقتصادي حيث احتدم الصراع من أجل الغزو التجاري العالمي، وفي هذا تقوم الأدوات التكنولوجية والاقتصادية للغزو والفتح والسيطرة بنفس الوظائف القديمة في مجال آخر، حيث تعتبر الأسواق هي ميادين القتال الجديد .

وتستند العولمة إلى ثلاثة أسس عدها جمع من خبراء الشرق والغرب ممثلة لشروط الانتماء إلى عالم الألفية الثالثة "عالم العولمة" وهي :

١- الاندماج في نظام اقتصادي عالمي يتبنى سياسات تحرير السوق والاقتصاديات وهذا النظام تمثل آلياته، أسواق مالية كوكبية، وشركات متعدية الجنسيات أو متعددة الجنسيات .

٢- اعتماد إيديولوجيات ليبرالية تتفق وقوانين الاقتصاد والسوق الحر من ناحية، وتكرس كما تزعم العولمة للديمقراطية والتعددية من من جهة أخرى .

٣- يقوم النظام الإعلامي الجديد بوسائله وتقنياته فائقة التكنولوجيا، بدور مهم وأساسي في تصدير وتدعيم منظومة العولمة باستغلال ثورة المعلومات وشبكة الاتصالات العالمية في نقل المعلومات والسلع وتحريك رءوس الأموال .

تلك أهم الأسس التي يعتمد عليها صناع العولمة " GLOBALIZATION" وقد يشير البعض إليها بإحدى سماتها فيقال عنها "التنميط" "UNIFORMATION" أو التماثل "UNIFICATION" .

وحين نقول إن العولمة تعتمد أهم هذه الأسس والتصورات الإجرائية ؛ ذلك لأن العولمة لم تعد مجرد نظرية أو مفهوم مفارق، وإنما غدت حقيقة وواقعاً إجرائياً يتدعم يوماً بعد يوم بحيث نستطيع القول بإننا بإزاء علم يتعولم أو يتنمط .

وإذا كان بعض المفكرين ينظر إلى العولمة على أنها ثمرة لتطور أساليب الإنتاج والاتصال الحديثة، وتلبية لمعطيات مرحلة ما بعد الصناعة "بعد الحداثة" ... دون سائر النظم والإيديولوجيات. فإن الغرب على أية حال يبدو مصمماً ومتعجلاً في الدفع بهذه المرحلة التاريخية الجديدة لصالحه ومن وجهة نظره وبالتالي فالغرب مستمر وبقوة في تسويق عولمته ويعمل حثيثاً على إزاحة أية ثقافات أو نظم قد تكون معوقة لتيار العولمة ؛ تلك الثقافات التي يوصمها بأنها "قديمة" أو "شمولية" وهما تعبيران استخدمهما كل من "هنتجنتون" و"يوكو هاما" وعليه فلابد من تغييرها خضوعاً لطبيعة وغايات المرحلة الجديدة "مرحلة العولمة" وبذا يتضح لنا أن العولمة عملية تؤدى فيها الإدارة السياسية

دوراً رئيسياً ذا مجال شديد الاتساع، يمتد من الجيو - سياسة العالمية والإقليمية إلى الثقافات والأديان عبر وسائط تشمل أرض الكوكب وسماءه، وتظل اتفاقية الجات (GATT) أو منظمة التجارة العالمية (WTO) إحدى الآليات الرئيسية التي تستخدمها العولمة مع آليات أخرى كحلف الناتو الجديد، ومجلس الأمن، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، والشركات المتعددة الجنسيات، ووسائل الاتصال والمعلومات والإعلام، وحقوق الأبحاث في الإلكترونيات وشبكة الاتصالات الدولية (الإنترنت) .

ومن المهم ان تعرف أن منظمة التجارة العالمية تتضمن لوائح تنظيمية وقانونية عن حقوق الملكية الفكرية ومعظمها غربي، وبالتالي فإن لوائح المنظمة تظل في مقدمة الأدوات الوظيفية التي تعولم ليس الاقتصاد فحسب وإنما أيضاً صناعة الثقافة والأفكار والإعلام .

لمحة تاريخية

إن فكرة "عالمية العالم" فكرة قديمة ترددت لدى كل الحضارات، ولكن في ظل حضارتنا المعاصرة ومع ضخامة التقدم الهائل في علوم الاتصال ووسائط الإعلام، صار العالم قرية صغيرة، وبالتالي تم طرح إمكانية "عولمة" العالم، وهي تختلف كثيرا عن فكرة "عالمية العالم"، والتي تعول على المتشابهات الإنسانية ونقاط الاتفاق بين البشر، دون إغفال وتجاهل خصائصهم الحضارية وأوضاعهم الاجتماعية .. إن فكرة "القوميات" و"العنصريات" التي كانت نتاجاً لوضعية القرن التاسع عشر، والتي تأولت تأويلاً خاطئا، لتكريس الموجات الاستعمارية وسلاسل الحروب على امتداد القرن التاسع عشر وحتى النصف الأول من القرن العشرين، فشلت فشلاً ذريعاً، وقادت أوربا إلى حربين عالميتين مدمرتين، خرجت منها أوربا منهكة القوى .. وقد قطعت شرايينها في مستعمراتها (العالم القديم)، تلك المستعمرات التي كانت تحقق لأوربا ميزة فائض القيمة التاريخي الذي كون الأساس التراكمي الضخم لعصر الصناعة والتحديث الأوروبي، ومع هذه الخسارة على المستوى الإنساني، ونقد الغرب الشديد لحضارته المدمرة وحضور الولايات المتحدة القوى عشية انتهاء الحرب العالمية الثانية باقتصاد قوي وعفي، وطرحها لمشروع "مارشال" بهدف لعق جراح أوربا "ابنة العم" انتقل بذلك مركز الهيمنة والثقل الاقتصادي والسياسي وتحول من أوربا إلى الولايات المتحدة، ويزداد هذا المركز قوة وتأثيراً خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والنظم الشيوعية في حلف وارسو .

ورغم أن الولايات المتحدة لا تستند إلى إرث استعماري بالمفهوم الأوربي إلا أن اعتناقها لفلسفة الغرب "القوة والتميز" وتبنيها لمنطق "النفعية"، يجعل سياستها متضمنة بالضرورة - أفكار الهيمنة والنفعية، ولكن بأسلوب أمريكي .. وإذا كانت الحرب العالمية الثانية قد أسفرت عن بعض المكاسب للإنسانية في صورة وثائق ومنظمات دولية، كوثيقة حقوق الإنسان مثلاً، أو قيام هيئة الأمم المتحدة بمنظماتها المختلفة، فإن هذه المكاسب أصبحت في ظل العولمة الجديدة بحاجة ماسة وملحة لإعادة نظر وصياغة من

قبل مركز الهيمنة الجديد، أي بمعنى أدق "أمركة العولمة" .. من هنا يتبين اختلاف وجهات النظر وحدتها ووصولها أحياناً إلى درجة الصراع الاقتصادي بين التكتلات الاقتصادية الكبيرة في عالمنا وأهمها الولايات المتحدة الأمريكية، وأوربا، واليابان، والصين، ودول النمور الآسيوية وبعض القوى الاقتصادية الصاعدة في أمريكا اللاتينية، مع ملاحظة تقارب وجهات النظر "الأمريكية الأوربية" في مواقف وسياسات كثيرة، لإيمان الغرب بصفة عامة بأن الأكثر تقدماً هو الأكثر كفاءة وقدرة، وهو الأحق بجني ثمار المرحلة التاريخية الجديدة، وهو نفس مفهوم "البقاء للأقوى" .. وعلى ذلك فإن اعتبار دول العالم وحدات متساوية في الحقوق والواجبات إنما هي في نظر الغرب مقولة رومانسية استفزازية ولابد أن تقوم دعائم العولمة وتدور آلياتها لتأكيد أحقية المركز وجني ثمرات انتصار العالم الغربي الحر بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، بأسلوب الولايات المتحدة الأمريكية ورؤاها وهو أسلوب يعتمد قوة الضغط، وأحياناً الفرض والإملاء متخفياً وراء المنظمات الاقتصادية العالمية، ومجلس الأمن الدولي، وهيئة المعونة الأمريكية وأحياناً منظمات حقوق الإنسان، وحماية الأقليات، وسائر الأطر المنظمة للعولمة أو "المؤمركة" لها .

ولعل تدخل الولايات المتحدة لتغيير طبيعة وعمل المؤسسات الدولية التي كانت تحرز بعض المكاسب رغم ما كانت تعانيه من قصور ـ لعل ذلك يفسر لنا فكرة الهيمنة، ويلاحظ ذلك منذ منتصف ثمانينيات القرن العشرين فالمحاولات الأمريكية تتواصل في هذا السبيل، حتى اتهمت المنظمات الدولية وعلى رأسها مجلس الأمن بفقد المصداقية، وتعرضت لكم هائل من الانتقادات والاتهامات، ولم يكن الانسحاب الأمريكي المشهور من هيئة اليونسكو إلا مظهراً واضحاً لما نقوله، وهنا تبدو الولايات المتحدة وكأنها لا تتحمس لنظام "الأمم المتحدة" القائم على فكرة المسئولية الجماعية "حقوق وواجبات" لكافة الأسرة الإنسانية .

اقتصاديات العولمة :

"إن هذه الاتفاقات ستعزز وضع أمريكا فيزعامة الاقتصاد العالمي" كان هذا تصريح للرئيس الأمريكي "بيل كلينتون في ربيع عام ١٩٩٤، عقب توقيع ممثلي دول العالم على اتفاقية" منظمة التجارة العالمية "الجات"، وفي ضوء ما أشرنا إليه عن دور الإرادة السياسية في تشكيل العولمة وتوجهات أدواتها"، فمن المؤكد أن هذا الإنجاز الذي يتحدث عنه رئيس الولايات المتحدة الأمريكية لم يكن وليد نشأة بعض المنظمات أو الاتفاقات، أو لمجرد تكريس هذه المنظمات لتحقيق أهداف وقتية سريعة، وإنما هو وليد تخطيط طويل وإعداد جيد مستمر في المرونة والتطور، وأن هذا التخطيط، وإن بدا على المستوى الاقتصادي في جانبه الأوضح ـ فإنه يستهدف السيطرة الشاملة بكل أدوات المعرفة".

إن الغرب يؤكد على منطق "أولوية الاقتصاد"، وطبقاً لهذا المنطق، فإذا كانت بلادهم هي دون جدال ـ أكبر قوة اقتصادية، فمن حقهم إذن ـ أن يمارسوا دوراً أكبر على الساحة العالمية ـ هذا الدور الذي يميز الغرب بصلاحيات ومبادرات لايشاركه فيها دول

أخرى، إلا بقدر وجودها الاقتصادي والسياسي العالمي .

إن العولمة الأمريكية تعني من وجهة نظر "أولويات الاقتصاد" إلغاء النظام العالمي غير الواقعي الذي يفترض أن مجموعة الدول الوطنية هي الوحدات التي تنتظم فيها حياة المجتمعات البشرية وتشكل مجموعة متساوية من حيث القانون الدولي ؛ أي من حيث الحقوق والواجبات طبقا لميثاق الأمم المتحدة، وهو الوريث التاريخي لإعلان حقوق الإنسان، وهذا النظام العالمي غير واقعي ؛ لأنه "وفقاً لمنطقهم" يتنكر لأولوية الاقتصاد الأمريكي، فلابد إذن من إعادة النظر في هذا النظام".

وأولوية الاقتصاد الأمريكي تعني التدخل في الأسواق العالمية بصورة أكثر حضوراً وفاعلية .. وللأسواق العالمية قواها المتعددة، ولكن مركزها الأقوى الولايات المتحدة .

ويلاحظ الدكتور مصطفى عبد الغني "أن الولايات المتحدة ومعها الدول الغربية الكبرى، ورغم التوقيع على اتفاقية الجات عام ١٩٤٧، إلا أنها كثيراً ما تبرأت من اجتماعات الجات وقراراتها خاصة فيما يتعلق بدعم التبادل التجاري الدولي، وأنه قد عقدت اتفاقيات في إطار الجات ورفضت الولايات المتحدة التوقيع عليها مثل "اتفاقية برن" ولم توافق عليها إلا بعد إقرارها بسنوات وكان ذلك عام ١٩٨٩م.

ويفسر الدكتور عبد الغني في كتابه "الجات والتبعية الثقافية" ذلك الموقف بتهديدات في بنود الاتفاقية تؤثر على المصالح الأمريكية ويقودنا هذا التفسير إلى محاولة الالتفاف الأمريكية على مكاسب دول العالم الثالث التي أنجزتها في مجال الأعلام والملكية الفكرية عن طريق "اليونسكو" ولجانها، فسعت الولايات المتحدة إلى أن تتضمن الجات حقوق الملكية الفكرية بجميع أشكالها والتوصل خلال الجولة الأخيرة من الجات إلى إجراءات عنيفة في تطبيق هذه الحقوق أطلق عليها الدكتور مصطفى عبد الغني تسمية "العنف الثقافي" و"التبعية الثقافية" في إطار الجات .

على هذا النحو يتنبه كثير من الاقتصاديين والمفكرين إلى خطورة هذه الآليات الاقتصادية، ومن ثم يرصدون عدة ظواهر سلبية يتسم بها اقتصاد العولمة أو "النظام الاقتصادي العالمي الجديد" .

فالدكتور زكي رمزي يتحدث عن مخاطر الكتلة الهائلة من الأموال الهائجة قصيرة الأجل فيقول "أصبح الاقتصاد العالمي يقوم على أمواج عاتيه من السيولة النقدية التي تشكل فيضاناً هائلاً من رأس المال، هذه الكتلة يتحرك منها الآن أموال سائلة عبر مدار العام بكمية تقدر بنحو ١٠٠ تريليون دولار أي ما يعادل ٣,٥٪ من تلك الكتل، والمصدران الرئيسيان لها هما" أسواق النقد الدولية وصناديق للأوراق المالية، ويوجد الآن في العالم حوالي ٧٧٠ صندوقاً استثمارياً، بمثابة ديناصورات تتحرك بوحشية وبشكل سريع وفي لمح البصر من بانكوك إلى بوينس أيرس، وهي تتعامل الآن في أصول مالية تتجاوز بكثيرحجم الاحتياطات الدولية التي تملكها البنوك المركزية في مختلف دول العالم وهذه الأموال الهائجة قصيرة الأجل أصبحت مصدر تمويل حركات المضاربة العالمية ومصدر قلق شديد لمختلف دول العالم" .

ويحــاول المفكر الإســلامي الدكـتــور محمدعمارة تفسير انهيارالأسواق العالمية في جنوب شرق آسيا، ذلك الانهيارالمشهور الذي وقع عـام ٢٠٠٠م من خـلال الرؤيا السـابقـة، واضعـاً يده على حكمـة تحريم الإسلام لفكرة الربا، القـائمـة أسـاسـاً على تحـويل المال إلى سلعة، يضارب عليها، وجعلها بديلاً للإنتاج والعمل. فيقول : "إننا نتعارك في الأزهر حول الفـائدة وهل هي حـلال أم حرام، وليست هذه هي القضية" فالقضية هي فلسفة الإسلام في المال... إن المال ليس سلعة يتاجر فيها ؛ لأن هذا يصنع التضخم، ويصنع عـالماً اقتصـادياً آخر لا علاقة له بالاقتصاد الحقيقي، وليس له أدنى عـلاقـة بالإنتـاج، زراعـة أم صناعـة ... فـالبنك يأخـذ منك بفـائدة ٥٪ مـثـلاً وينقل لغيرك بفـائدة ١٠٪ ومن يأخذ بعـشرة ينقل بإحدى عشرة .. وهكذا، فالمال سعره يزيد دون زيادة حقـيقـية في الإنتـاج ؛ أي أنه بعيدا عن وظيفـة المال تتم عـمليـة تضـخم ويصنع المال سوقاً من الممكن أن تضرب تجارب تنموية".

أما ظاهرة الشركات المتعدية الجنسيات، فنجـحد إشارة لظروف نشأتهـا عند الدكـتـور أنور عـبـد الملك الذي يوضح لنا "كـيـف أن الولايات المتحدة استطاعت استغلال إمكاناتها الهائلة التي لم تلحق بها أضرار الحرب العالمية الثانية واستفادت من تجربتها الفريدة في إدارة الأعـمـال بواسطة دائرة واسـعـة من المراكـز الإدارية، وذلك في المجـال الهـائل المكون من الولايات المتحدة وكندا بالإضـافـة إلى تقدمهـا في تكنولوچيـا الإعـلام والاتصـالات، بحـيث استطاعت أن تنفذ إلى قلب مجـتمـعـات أوربا أثناء عـمليـة إعـادة بنائها "مـشـروع مـارشـال" ومن خلال أوربا النفاذ إلى المناطق التابعة في آسـيا وأفـريقـيا في المقـام الأول، بينمـا راحت تؤكـد سـيطرتهـا على اقـتـصـاديات أمـريكا اللاتينية تطبيقاً لمبدأ "مونرو" ويقول الدكتور عـبـدالملك : "كـان هذ هو السـبب في نشـأة الشركات المتعدية الجنسيات منذ عام ١٩٤٥، وانتشارها بشكل هائل في المنطقتين المركزيتين والتابعة - خلال سنوات قلائل".

ويذهب المفكر سمير أمين إلى أن الشركات "الشـركـات مـتـعـديـة الجنسـيــة أو العـابرة للقـومـيـات هي الأداة الرئيـسـيـة للعـولمة، فبواسطتها تتم عملية تدويل، أو الأصح عولمة رءوس الأمـوال والإنتـاج والتـصـريف ومـجـمل العمليات المالية والتجارية وانتقال المعلومات وشـبكة الإعـلام وغـيـر ذلك ويسـيطر عـدد مـحـدود من هذه الشـركـات العـمـلاقـة على المفاصل الرئيـسيـة للاقـتصـاد العـالمي، ويوضح سمير أمين عملية عبور هذه الشركات وتعديها حدود القارات وذلك "حين تعتمد شركة معينة إلى التـخـصص في إنتـاج سلعـة معينة مروراً بكل مـراحل إنتـاجـهـا، دون أن يعني ذلك بموضعها في بلد واحد، فشركة "بشينيه" مثلاً، تسـتـخـرج البوكـيت من اسـتـراليـا، وتحـوله لألومين في الولايات المتحدة، وتنتج اللمونيوم في الجـابون باسـتخدام لألومين المنتج بـواسطة فروعها في غينيا، كل هذا يعني الانتقال من استراتيجـية الإنتاج الوطني إلى إستراتيجـيـة الإنتـاج العـالمي بعـدم تمركز أو حـصـر الإنتـاج محلياً، ويتحقق تكامل وحدات الإنتاج بتأمين الحـرية هذه العـمليـة في التـقـارب بين أمم صناعية قديمة وأخرى حديثة، لأن التباعد ينتج اضطرابات فـي أغلب الاقـتـصـاديات، وهـذا ما

أطلق عليه سمير أمين وصف "عملية الاختراق المتبادل في الاقتصاديات الرأسمالية المتطورة، بالدرجة الأولى، وتوسعا لمبادلات شمال جنوب، بالدرجة الثانية" .

من جهة أخرى، فإن من أهم سمات الشركات متعدية الجنسية، تعدد الأنشطة التي تشتغل فيها دون أدنى رابطة بين المنتجات المختلفة، فشركة التليفون والتلغراف الدولية تملك مثلاً، شركة فنادق شيراتون، وشركة "تايم وارتر" تشتغل بعدد كبير من شركات النشر والإعلام والملاهي: من استوديوهات هوليوود، إلى شبكة (CNN)، وصولاً إلى التلفزيون بالكابل وبصفة عامة: تعمد هذه الشركات إلى تنوع شديد في النشاط سعياً لتعويض الخسائر المحتملة في نشاط معين بأرباح تتحقق من أنشطة أخرى، دون اعتبارللوضع الجغرافي لهذا النشاط، ولا غرابة بعد ذلك في أن تكون الشركات متعدية الجنسيات وراء ظاهرة العولمة فمن يقتحم الأسواق العالمية لا يريد أن تعوقه حدود اقتصادية حتى مع بقاء الحدود السياسية، وظاهرة أخرى تتعلق أيضاً بهذه

الشركات وهي ظاهرة اندماجها وكذلك اندماج المصارف الكبرى وهي ظاهرة من سمات عولمة الاقتصاد، ويأخذ الاندماج في حالات عدة شكل ابتلاع وتملك للشركات والمصارف الأضعف نسبياً، وظاهرة الاندماج والابتلاع هي التعبير العملي لتركز رأس المال والإنتاج في ظروف الرأسمالية المعاصرة .

ويعمق الأستاذ عادل حسين بعض المفاهيم حول هذه الشركات فيقول : "إن هذه الشركات يخضع ولاؤها في النهاية إلى الدول التي ينتمي إليها مقرها الرئيسي، والقول بأنها متعددة الجنسيات أو عابرة للقوميات، إنما هو قول خادع، وهذه الشركات العملاقة التي تبلغ نحو أربعمائة شركة تقريباً - تتجاوز ميزانيتها العديد من الدول النامية، ولا يقتصر تأثيرها على البعد الاقتصادي، ولكنها تتحكم بدرجة كبيرة : في البعد التكنولوچي أيضاً .. ولذلك فهم يعملون على فرض هذه الشركات على كل من يريد الإعمار أو التنمية، والذي يكذب حياد هذه الشركات، أنها أثناء أزمة الغرب مع إيران، فإن هذه الشركات لم تقاطع إيران من نفسها، وإنما قاطعتها حين أمرتها حكوماتها بذلك، والكثير منها تفضل الاستثمار في دول متقدمة عن دول العالم الثالث وإن قلت الربحية، حتى لا يساعد ذلك على تصدير التكنولوچيا .

وبالحديث عن اتفاقية الجات، وكتل الأموال المتحركة الهائلة والشركات المتعدية الجنسيات نكون قد أشرنا إلى أهم الأسس الاقتصادية التي ترتكز إليها العولمة وأهم ما وجه إليها من نقد .

أحمد رشاد حسانين

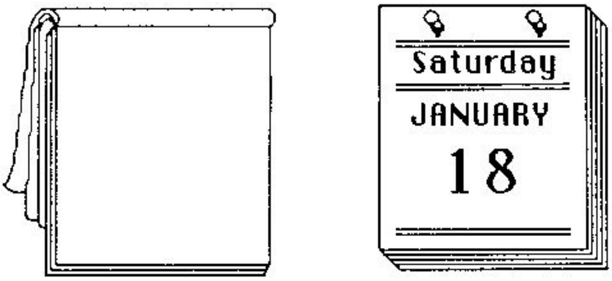

رسالة أميركا

الفارون من الحضارة !!

هناك البعض ممن غرقوا في خضم الحضارة الغربية من أخمص القدمين إلي قمة الرأس؛ من يتطلع إلي شاطئ النجاة، يود لو طالت يداه طوق نجاة لينتشل نفسه من وحلها وطينها وزبطها .. وهناك ممن خبروا المدنية الحديثة بخيرها وشرها، من يتمنى لو أوتي من العزيمة وقوة الإرادة ما يمكنه من الفرار من براثنها، لأسرع بفك يديه ورجليه من أصفادها، وحرر رقبته من أسر قيودها الموصدة علي حركاته وأنفاسه .

هذا بينما من كادت أنفاسه أن تنقطع في العدو وراء ركب الحضارة يتحرق لهفة إلي أن يحظى ببغيته في اللحاق بالركب حتى لو ضاع عليه الغالي والثمين؛ دون أن يدرك ولو بمحض الخيال أن ما يحمله الركب قد لا يأتي وفق هواه .. كلما لاح له بهرج من مظاهر الحضارة انحبست أنفاسه ولعا يود لو تغمره الحضارة بأمواجها حتى لو كان مصيره الغرق ولم يجد من ربوة يلجأ إليها .. إنه يريد أن ينسي أنه من المخلفين المحرومين من عطاء المدنية وجودها .. إن حياته تمر أمام عينيه بسرعة، يريد أن يتجرع كل ما تجلبه إليه المدنية دفعة واحدة بحلوها ومرها. وما كان لمثله أن يميز أو يختار، فأصحاب المدنية هم سادة العصر ورواده، ومن تخلف عن ركبهم فمآله الحضيض.

د.عبد الفتاح الحسيني

أما من أصابه الإحباط إثر تخلفه عن قطار المدنية السريع فلا يخطر له علي بال أنه ربما كان محظوظا، إذ إنه بتخلفه قد يكون تفادى مغبات ما تأتي به الحضارة من شقاء للناس .. وبينما تملأ الحسرة نفوس البعض علي ما حرموا منه من تقدم، فهناك أيضا من يغطون في سبات عميق لا يضيرهم من لحق بالقطار أو تخلف عنه، بل هم بمنأى أن يسهر لهم جفن علي ما فاتهم أو ما ينعم به غيرهم؛ وكفاهم أن يقوا أنفسهم وأهليهم من أهوال صدمات المدنية وتداعيات صراع الحضارات .

أما غالبية المتحضرين ممن يتمتعون بما تقدمه لهم الحضارة من أدوات الرفاهية ويسر العيش فهم في غفلة من أمرهم، لا يتساءلون ماذا لو أن سبل التقدم انحسرت، أو يفكرون فيما قد يحيق بهم لو مادت الأرض بكل ما ينعمون به من ثمار التقدم الصناعي والزراعي والاقتصادي والمعيشي، وعادوا لما كان عليه آباؤهم وأجدادهم من معاناة صلف العيش .

إلا أن المفكرين الغربيين لا تغفل عيونهم، فمنهم من يخشى أن نهاية الحضارة ستتأتي بارتفاع أسعار النفط والمواد الخام التي هي من حقوقهم الأزلية أينما وجدت. ومنهم من يرى في المدنية حكرا غربيا لا يجوز أن ينازعهم عليه أحد، فينذر أصحابه أن إفاقة الشعوب الغافلة وسعيها للتحضر سيودي بهم إلي التخلف والعودة إلي القرون الوسطي التي عاشوها في ظلام وعراك .

ومن متفلسفيهم من يرى أن الحضارة الغربية القائمة هي نهاية الحضارات، بمعنى أنها أسمى ما توصل إليه العقل الأوروبي وليس هناك من يزيد عليها، أو يزايد عليهم. والبعض منهم يغفل عن سنن الله في الكون؛ كما جاء في قول الله تعالي في سورة الفجر : ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد ؛ إرم ذات العماد؛ التي لم يخلق مثلها في البلاد؛ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد؛ وفرعون ذي الأوتاد﴾ .. والكل يكاد يتغافل عن الصدمات الاجتماعية التي ترتبت علي كل واحدة من التكنولوجيا الحديثة في الدول المتحضرة والنامية والمتخلفة علي حد سواء .

الكهرباء والضوء

من الصعب أن يتصور أحد اليوم عالما بلا كهرباء، أو عودة إلي مصباح الجاز وشعلة "الشيخ علي" في طاقة الحجرة لتؤنس ليله .. فاليوم إذا انقطع تيار الكهرباء توقفت مضخات المياه وطفحت المجاري في الشوارع، وكفت الحركة في غرفة العمليات الجراحية، وتعرضت حياة المواليد في الحضانات للخطر، وخفت صوت التلفاز، وبكي التلاميذ لأنهم لا يستطيعون الإعداد لامتحان وشيك .. إذا كان هذا هو الحال، فلماذا انزعج الناس عندما

اخترعت الكهرباء والضوء الكهربائي؟

يروى أحد من عاشروا دخول الضوء الكهربائي لأول مرة في البيوت الأمريكية، أن أحد أثرياء القرية ساعده الحظ على تركيب مصباح إضاءة كهربي واحد في صالة فسيحة في بيته؛ فكان أهل القرية يتدافعون عند حلول الليل في كل عطلة أسبوع، ليتسامروا في ضوء المصباح الغريب، الذي كان يضفي على الحضور الشعور بمتعة لا يضاهيها سوى التسامر في نور القمر عندما يكون بدرا .. وكان الكثير منهم يفضلون ذلك على الحوانيت الغاصة بالرواد التي تستخدم مصابيح الغاز حيث الضجيج والدخان الذي تضيق به الأنفاس .

وعندما أصبح بإمكان الآخرين استخدام الكهرباء في الإضاءة، قاوم الكثيرون التكنولوجيا الجديدة خوفا من أن تجلب معها أضرارا على الصحة البشرية، إلى جانب مخاطر توصيل الأسلاك الكهربائية في البيوت مما يعرض الأطفال إلى خطر ملامسة التيار الكهربائي .. كما شعر البعض أن الإضاءة الكهربائية من أوجه الإسراف والتبذير في أمور ترفيهية ليست من ضروريات الحياة .. ورأى آخرون أن الضوء يؤثر سلبيا على حياة الناس ؛ لأنهم يقضون وقتا كبيرا في التسامر غير الجاد ولا ينامون من الليل إلا قليلا، مما يؤثر عليهم في أداء أعمالهم .. ورأى آخرون أنه لم يعد لأي بيت حرمة بعد إدخال الضوء الصناعي ؛ لأن كل عابر في الطريق يمكنه أن يكشف عورات المنازل .

أما في اليابان فقد نفر الناس من الإضاءة الكهربية حيث إنها ظلت مقترنة لفترة طويلة بحي البغايا أو الحي الأحمر الذي كان أول من استخدمها في البلاد للإعلان عن سلعة .

وعقب توزيع كهرباء السد العالي على القرى في الريف المصري، أثرت الإضاءة الكهربائية تأثيرا سلبيا على الإنتاج الزراعي، وذلك بتقصير وقت العمل في الحقول. فقد كان العمل يمتد من الانتهاء من صلاة الفجر حتى قبالة الغروب، حيث يتناول المزارعون وجبة العشاء بعد صلاة المغرب، وينامون عقب صلاة العشاء .. أما بعد انتشار الإضاءة الكهربائية، فقد امتدت السهرات الليلية وأصبح الاستيقاظ المبكر شاقا، إلى جانب أن الفلاح أصبح يعاني الإرهاق مما يؤثر على نشاطه في الزراعة .. كما أن الأجيال الناشئة في القرى حول العالم كله لم تعد تستمرئ العمل في الزراعة لما تفرضه من قيود لا تتوافق مع متعة الحياة الليلية .. أما في المدن فقد انقلب بكورهم إلى سبات وليلهم إلى سهر.

الراديو

لقد قوبل المذياع بموجة من الذعر، عندما بدأت أجهزته تنتشر بين الناس، حيث إن الكثير من المحافظين في بلاد الغرب والشرق اعتبروه منتجا من أعمال الشياطين، وآخرون أكدوا على أنه من الوسائل التي يمكن للشيطان أن يتسلل عن طريقها إلى بيوت الناس الطيبين ويقضي على ما فيها من روح التدين والخوف من الله، ويمحو كل ما بقي بين الأسر من أواصر الترابط والتراحم .. ولم يكن بوسع الفضوليين إلا أن يفغروا أفواههم دهشة من عجائب الزمن ؛ إذ إن بوسع صندوق خشب صغير أن ينطق بكلام مفهوم ويطرب الآذان

بالموسيقي والأغاني .. وهناك من البسطاء من ظن أن السحرة من الإنس تكالبوا مع عفاريت الجن فسخطوا أناسا إلي أحجام صغيرة وحشروهم في صندوق الراديو ليسلوا الناس ويُسَرّوا عن نفوس الموسرين منهم ممن في مقدورهم اقتناء راديو .

ومع انتشار أجهزة الراديو وانخفاض أسعارها وصغر حجمها اعتبرها البعض وسيلة سهلة لغسل المخ والعبث بأفكار الناس والتغرير بالشباب. وقامت حملات تطالب بوضع لوائح مراقبة ومعايير متشددة كي لا يصبح ألعوبة في يد العناصر الفاسدة .. وتحققت المطالب فتولت بعض الحكومات توجيه ما يذاع حيث تحول تدريجيا إلي مؤسسة سياسية رسمية .. أما في الولايات المتحدة الأمريكية فقد أصرت الهيئات المحلية علي أن يقتصر بثه علي نطاق محلي، وأن تكون موجات الأثير ملكا للناس يستخدمونها فيما يتماشي مع منفعتهم ورغباتهم .. وفي الوقت الحاضر ألغيت كل اللوائح وفتح باب امتلاك الإذاعات المحلية أمام الشركات الكبرى مما أثار غضب الكثيرين ؛ لأنه كما تخوفوا من أن يصبح أداة طيعة لغسيل المخ .

التلفزيون

عندما دخل التلفاز البيوت الأمريكية لأول مرة كان هناك تخوف كبير من مخاطره علي تلاحم العائلة وعلي إفساد الأطفال، وإضاعة الوقت، والتأثير علي الإنتاج الصناعي، وتكونت مجموعات مناهضة لعرضه في السوق .. ولولا أن تكلفة اقتنائه كانت باهظة نسبيا في البداية، لاشتدت حدة المعارضة .. وكانت المقاومة أكبر لانتشار التلفاز في أوروبا .

وفي البداية شنت دور العرض السينمائي، والشركات الإذاعية، والفرق المسرحية، وحتى حوانيت الشرب والملاهي الليلية حملة شرسة لمحاربته؛ ولكنها تقبلته بالتدريج واستغلته لترويج بضائعها .. ومؤخرا دخل التلفاز الكبير الشاشة في حوانيت الشرب لمشاهدة الدورات الرياضية.

ورغم الانتشار الواسع لأجهزة التلفاز وانخفاض أسعارها، فما زال الكثير من الناس لأسباب دينية أو صحية أو اجتماعية لا يحبذون اقتناءه .. فالمورمون والإيمش وغيرهما من الفرق المسيحية الأمريكية ما زالوا يحرمون مشاهدة التلفاز أو اقتناءه .. وبعض شباب الجيل الجديد يرى أن مشاهدي التلفاز يصيبهم تخلف عقلي، وأنه يحول بين الناس والحوار والاستقلال الفكري؛ وهذه الحركة في نمو خاصة بعد سيطرة الشركات التجارية والاستهلاكية علي البث الإعلامي .. وربما كان الانفعال الناتج عن انتشار التلفاز أقل من غيره من التأذي من اختراعات سابقة، إذ إن الصور المتحركة والسينما والمذياع سبقت اختراع التلفاز.

كما أن بعض علماء الإشعاع يرون في أجهزة التلفاز خطرا علي النظر، ويؤمن البعض بأن طول المشاهدة يزيد من مخاطر التعرض للإشعاعات القاتلة علي طول المدى .. غير أن هذا الموقف لا يدخل في عداد الانفعال من صدمة حضارية، حيث إن مخاطر أجهزة العرض من تلفاز وحاسوب وهاتف جوال مخاطر حقيقية مدعمة علميا .

السيارة

في فرنسا، رغم تباهي النخبة القليلة التي ملكت أول إنتاج للسيارات فإن الرعب الذي سيطر علي الناس من السيارات العمياء التي تندفع في الشارع دون يقين من أن يستطيع قائدها السيطرة عليها، ألزم كل صاحب سيارة إلي استئجار بضعة أطفال يعدون أمام السيارة ليحذروا الناس من قدومها ويفسحون مساحة كافية لتفادي ما لا يحمد عقباه من الحوادث .. وما زال جمهور الإيميش في الولايات المتحدة الأمريكية يحرمون استخدام السيارات والهاتف ؛ فكل ما لم يستخدمه المسيح عليه السلام والرعيل الأول فهو محرم عليهم .

الفلورين

عندما قررت مصالح الحكومة الأمريكية المختصة إضافة الفلورين إلي مياه الشرب العامة، لحماية ميناء الأسنان بتشجيع من أطباء الأسنان؛ قامت حملة مقاومة لهذا القرار

بناء علي شائعة أن الشيوعيين يريدون أن يسيطروا علي أدمغة الشعب الأمريكي، فالاتحاد السوفيتي كان يضع الفلورين في مياه شرب المساجين السياسيين في معسكرات التعذيب حتي يحولهم إلي مخلوقات غبية وعناصر خاضعة ومطيعة. وبالطبع فإن الفلورين مادة سامة، وهناك مخاوف من أنها تؤثر علي خلايا المخ وقد تسبب سرطان العظام .. وما زال الصراع بين المتشيعين لإضافة الفلورين إلي مياه الشرب والمعارضين لها محتدمة .

الخوف من الغرباء

هناك فارق بين كل تلك الانفعالات في الدول الغربية والدول المتطورة صناعيا نتيجة الصدمات الحضارية من جراء منتجات التكنولوجيا أو الصناعة الحديثة، وبين ما حدث في الدول النامية في أعقاب كل منتج جديد. فالبلاد التي تدخلها السلع الاستهلاكية الجديدة؛ دون أن تساهم في ابتكارها أو إنتاجها أو تطويرها، تتهافت علي اقتنائها طبقة من المتشبثين بأهداب التحضر سواء كانت مهمة لهم أم لا، فتلك الطبقة تحس بالتميز علي غيرها من الناس وتستهزئ وتسخر من كل من عبر عن تخوف أو تشكك فيما يصاحب السلع المستحدثة من شرور؛ سواء كانت تلك المخاوف ثقافية أو دينية أو وطنية، أو قائمة علي علم أو جهل بما يدور في العالم من تحضر .. وكثير من المخاوف لا تعود إلي صدمة حضارية بل إنها مبنية علي أساس عدم القدرة علي اقتناء السلعة، كما أن عامة الناس، نشئوا في حقبة استعمار، فهم لا يأمنون مما يجلبه المستعمر السابق إلي بلادهم

من سلع .

والشعور بعدم الثقة بما يجلب الغرباء معهم شعور بشري شائع، وليس حكرا علي الشعوب التي عانت استعماراً سابقاً. فالقرى الأمريكية لا تثق بمن ينزل عليها من غرباء، وأهل الجنوب لا يثقون بأهل الشمال، والعكس صحيح .. وربما يعزى ذلك إلي اختلاف ثقافي. فعلي سبيل المثال اختارت شركة الكهرباء مساحة من الأرض قرب قرية أمريكية لإنشاء محطة نووية لتوليد الطاقة الكهربية في العقد السابع من القرن الماضي فاجتمع أهل القرية وقاموا بحملة عارمة مناهضة للمشروع لا لشيء إلا خوفا من أن يدهم قريتهم الغرباءُ فيفسدوا عليهم حياتهم وأولادهم، وتأتي معهم عادات وثقافات لا يستسيغونها .. وهذا النوع من الانفعال يواجهه المسافرون إلي مدن أو قرى غير تلك التي نشئوا فيها .

البدائيون

الحركة البدائية الزاهدة في كل ما تجلبه الحضارة الحديثة، والداعية إلي الانسحاب من الحياة الحديثة بما فيها من صناعة وزراعة والعودة إلي الحياة البدائية، حركة يتفرغ لها كثير من الدعاة من فلاسفة ومفكرين خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية واليابان والهند، حيث يرون فيها الخلاص من كل ما أصاب العالم من مآسٍ وفواجع وحروب، بل ترى أن المدنية هي التي خلقت الاضطهاد العنصري وسوء معاملة النساء وفقدان الحرية الشخصية واستعباد الشعوب والطغيان الذي يعم الأرض من مشارقها إلي مغاربها .

بل هناك من يريد أن ينفض عن كاهله كل ما تكبله به مظاهر المدنية الحديثة من سبل مبتكرة لقمع النزعات الفطرية في البشر وتقييد حرية الفكر، وتدخل بذيء في دقائق حياته اليومية. يريد الفرار بعيدا عن المدينة الكبيرة والقرية الصغيرة والحياة الحديثة بصخبها وصولها وجولها لينعم بالعيش بين الأدغال يصطاد قوت يومه، ويحتطب ليوقد نارا يصطلي بها في ليل بارد، وينام في العراء لينعم بنسمات الليل الطرية ويتمتع بضوء النجوم والقمر، عندما تغيب الشمس. فأهل الأدغال ينعمون بحياة ثرية، في وئام مع الطبيعة وسلام مع الوحوش الضارية، حياة يحسدهم عليها من ذاقوا طعم التمدن، واكتووا بنار التحضر علي حساب فقدان حريتهم في التنقل ونعمة الرضاء بما بين يديهم من خير ونعمة، وافتقدوا بساطة العيش ليعيشوا في هم ونكد، يعانون غوائل الاكتئاب والعلل المستحدثة، والقلق علي المستقبل والندم علي ما فات.

أما الحكومات فترى في الحركة البدائية خطورة علي سلطاتها وأن أتباعها يميلون إلي إشاعة الفوضى بين الناس ويدعون إلي الثورة علي النظم الحاكمة. بينما يرى بعض علماء علم الإنسان أنها نتيجة حتمية للصدمة الحضارية التي أصابت المجتمع البشري نتيجة طفرة التقدم السريعة التي شاهدها المجتمع البشري حديثا، وأن دعاة البدائية يعيشون في عالم من الأوهام. فالمدنية لن تتراجع إلي الخلف .

د. عبد الفتاح الحسيني
الولايات المتحدة الأمريكية

كلمة حق

أ.د. حلمي القاعود

الرهبان المحاربون .. والقتيل المسلم !!

كشف التمرد الطائفي عقب أحداث أبوفانا عن وجه آخر من وجوه تحركه وعمله تجاه الأغلبية المسلمة ، والنظام الحاكم أيضاً ، ومن سياق الأحداث والتصريحات التي تلت زيارة الأنبا شنوده للرهبان الذين قيل إنهم مصابون في مستشفى برج مينا بمصر الجديدة ، حرص قادة التمرد على إسدال الستار على مسألة قتل الفلاح المسلم الذي اتهموه بالاختلال العقلي ، وقللوا من شأنه ، وظاهرهم نفر من اليسار المتأمرك ومرتزقة الصحافة الذين يتملقون المتمردين ، ظناً منهم بأن ذلك يفتح لهم الطريق إلى قلب الحكومة الرخوة ، ومناصبها ومغانمها .. صار الحديث عن هجوم المسلمين على الدير والرهبان وإصابتهم وسحلهم وإجبارهم على النطق بالشهادتين هو النغمة السائدة ، وكأنهم يرون في الهجوم المخلوط بالأكاذيب والادعاءات خير وسيلة للدفاع عن جريمة القتل البشعة التي راح ضحيتها فلاح مسلم لا حول له ولا طول ! وقد أصدر المجمع المقدس بيانا شديد اللهجة كما وصفته الصحف ، يطرح ستة مطالب على رئيس الدولة لتحقيق ما يُسمى بالأمان للنصارى في مصر ، وعلى رأس هذه المطالب الإفراج عن المحتجزين دون وجه حق : أي الإفراج عن قتلة المسلم البائس الذي لا ظهر له ولا حماة ، بمعنى تطويع القانون للإفراج عن القتلة النصارى ليتحقق الأمان للطائفة والرهبان المعتدين !

إهدار دم القتيل المسلم تعبير عن الهوان الذي وصلت إليه السلطة أمام التمرد الطائفي الفاجر الذي لا يخفى استقواءه بالصليبية الاستعمارية الدولية ، بقيادة حكومة واشنطن .. وقد استثمر المتمردون هذا الهوان بطريقة جيّدة فزادوا من تبجحهم بالإصرار على طلب

تعويض عما أسموه التلفيات والمسروقات التي أصابت منشآت في الدير ومنقولاته ، وقدّروها بمليون جنيه .. في حين أن الواقع خلاف ذلك .

في الوقت ذاته تقبض السلطة على المزيد من المسلمين الذين يتهمهم النصارى بالهجوم على الدير ، لدرجة القبض على اثنين لا علاقة لهما بالحوادث ، ولم تفرج عنهما النيابة إلا بعد شهادة اثنين من عامة النصارى الذين لم يتأثروا بالتمرد ودعاياته المسمومة بأن المقبوض عليهما بريئان .

ويوجه المتمردون سهامهم إلى شخص يدعى "أبو لؤلؤة"، قيل أنه قام بدور مهم في الإفراج عن الرهبان الأربعة المحاربين ، فتستدعيه النيابة إلى التحقيق ويقوم المحامون الذين يخدمون التمرد بالتشهير به في البرامج التلفزيونية والصحف المختلفة .. بالإضافة إلى دورهم الدعائي في إعلان التحدي السافر وترديد مقولات الأنبا عن انتهاء زمن المصالحات إلى غير رجعة ، وأن الكنيسة سوف تستخدم كافة السبل (..) للدفاع عن مصالح النصارى !

لقد اختفى من الإعلام المصري تقريباً الحديث عن العدوان النصراني والاستيلاء على أرض الدولة وإنشاء مستعمرة "أبو فانا" والتوسع فيها .. وقبل ذلك وبعده حق "القتيل المسلم" صاحب الدم الرخيص والانتماء الأرخص !

وبدا موقف المسئولين الرسميين مثيراً للتعجب والتحسّر .. وما بالك بمسئول يُعلن على الملأ ، وتنشر الصحف تصريحاته أن كلام الأنبا شنودة عن حوادث أبوفانا خارج نطاق التعقيب ، لأنه رمز ديني له مكانته في قلوب المجتمع وأنه صاحب رؤية تستحق الاحترام والتقدير !! ونسي هذا المسئول أن الأنبا شنودة هو الذي قال عن الأعراب إنهم لا يجدون أحداً يحكمهم ، أي إن الحكومة لا وجود لها ولا قيمة ، وهو الذي قال إنه لن يفوّت هذا الأمر بمعنى أنه يملك القوة التي تمكنه من فعل ما يريد ، فهو رئيس دولة مستقلة لا تخضع لسيادة القانون كما يخضع له المسلمون التعساء الذين اعتدى عليهم الرهبان ، وقتلوا واحداً منهم بالسلاح .. المسئول الحكومي المحترم ، لا يريد في تلك التصريحات أي مساس بالأنبا أو بحكومته المستقلة ، فهو صاحب "رؤية تستحق الاحترام" !

مشكلة هذا المسئول وأمثاله أنهم لا ينفذون القانون إلا على المسلمين الأذلاء ، ويأخذونهم بالشبهة ، ويعتقلونهم بالعشرات والمئات في حوادث تافهة ، بل إنهم في حوادث أبوفانا التي كانوا ضحيتها قبضوا على سبعة عشر مسلماً حتى الآن وجددوا لأربعة عشر منهم بالحبس خمسة عشر يوماً ..

أما من اعتقل من النصارى فهما اثنان فقط (المقاول الذي كان يبني سوراً على الأراضي التي سرقوها وابنه) !

ومثل هذا المسئول شخص آخر ، كان يقترح مكافأة لصوص الأرض من الرهبان بمنحهم مساحة إضافية قدرها خمسة كيلو مترات في شتى الاتجاهات ، انطلاقاً من نهاية المساحة الحالية .

المساحة الحالية تقرب من خمسمائة فدان ، بدأت بإقامة قلاية ثم اثنتين حول مقبرة لمن يُدعى القسيس أبو فانا ، وتوسع القوم في بناء القلايات والسيطرة على المزيد من الأراضي ، حتى استطاعوا أن ينتزعوا من الدولة الرخوة قراراً بعدّ الدير من المناطق الأثرية .. ولكنهم لم يكتفوا بذلك ، فتمددوا وراحوا يُهيئون لبناء سور على مساحة خمسمائة وألف فدان ، مما أثار الأعراب الذين يزرعون الأرض ويرتزقون منها ، وحين حاولوا

منع الرهبان المسالمين (..) من إقامة السور والتمدد غير الشرعي ، فقد وجدوا نوعاً آخر من الرهبان المحاربين الذين يستخدمون السلاح بمهارة ودقة ، فقتلوا الفلاح المسلم اليائس ، واتهموه بالاختلال العقلي ، وأصابوا أعداداً أخرى ، وكانوا ينتظرون أن يباركهم الرب والبابا والحكومة على جريمتهم ، فوجدوا المباركة من البابا وحده والصمت من الحكومة .. أما الرَّب فلا أحد يعلم ماذا سيفعل بهم لأنه أوصاهم ضمن الوصايا العشر : "لا تقتل" وقد قتلوا !، وقد أوصتهم الثقافة الاستشهادية : "حفضل أصلى مهما حصلّي" ، ولكن الثقافة الاستشهادية التي يروجون لها هذه الأيام لمواجهة ما يُسمى "الغزو العربي المستمر" : عبّرت عن نفسها بالرصاص الحي الذي يؤدى إلى الدار الآخرة .

من المفارقات أن الأنبا شنودة ، بعد أن أهان الدولة بقوله "مش لاقيين حد يحكمهم" ، انزلقت قدمه فأصيب بكسر في الحوض ، فأمرت السلطة المسلمة بتخصيص طائرة لسفره فوراً إلى أمريكا كي يُعالج ، أما الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، شيخ الأزهر السابق ، فقد رفضت الإسعاف الحضور إلى منزله ونقله إلى المستشفى ، مما اضطر أسرته إلى التصرف بعيداً عن الدولة ، وقضى الرجل نحبه ، تاركاً خلفه كثيراً من المواقف الوطنية الجريئة الشجاعة بالفعل لا بالقول ، فقد رفض أن يقابل رئيس الكيان النازي اليهودي الغاصب "عزرا فايتسمان" ، ورفض أن يحلل الربا فى البنوك ، ودافع عن الإسلام بكل ما يملك .. ولكن أهل اليسار المتأمرك والمرتزقة ينفخون فى مقولة للأنبا تقول إنه لن يزور القدس إلا مع إخوانه المسلمين ، وينسون ما يفعله على أرض الواقع من مباركة للتمرد الطائفي ودفع النصارى إلى الجيتو والاستنجاد بأمريكا واليهود ، وتحالفه مع نصارى المهجر الذين يسبون الإسلام ، بل ومقاضاة من يصف السفيه البذيء "زكريا بطرس" الذي يسب الإسلام بالليل والنهار.

إن اليسار المرتزق الذي يتحالف مع المتمردين النصارى ليقوم بمظاهرة ضد المسلمين تحت مسمى "الوحدة الوطنية" أسقط ورقة التوت التي كان يتغطى بها ، ويضحك بها على البسطاء والأيام ستكشف المزيد .

دعم التمرد الطائفي إسلاميا !

بعض البرامج الدينية الإسلامية التي يقدمها مذيعون يفترض حرصهم على الإسلام والمسلمين ، يقومون بالترويج لبعض شركات المحمول والهاتف ، وذلك من خلال طرح أسئلة تافهة يستطيع معظم الناس الإجابة عليها بسهولة شديدة ، والجائزة المطروحة رحلة عمرة ..لا أريد الخوض في طبيعة الأسئلة التافهة ولا طبيعة الجائزة ، ولكني أود الإشارة إلى أن الشركات المستفيدة من المكالمات : ملك لكبار قادة التمرد الطائفي الذين يحتقرون الإسلام ويرفضون الحجاب ويرون أن عودة الناس إلى الإسلام تجعلهم غرباء في مصر ! وأكتفي بهذا القدر !

قانون الطوارئ .. وحادث الزيتون !

كان مراسل الجزيرة اليساري ، ينقل على الشاشة (٢٠٠٨/٥/٢٨) خبر حادث الزيتون الذي أطلق فيه الرصاص على عدد من النصارى في محل مصوغات مما أسفر عن مصرع أربعة وجرح آخرين . عدّد المراسل بعض الاحتمالات التي دفعت إلى ارتكاب الجريمة ، فذكر منها بسرعة أنها قد تكون جنائية محضة ثم توقف طويلاً عند احتمال أن تكون على خلفية طائفية أو تعصب طائفي من جانب الجماعات الإسلامية ، واستعاد بطريقة مريبة

ما قيل في حوادث سابقة عن استحلال أموال النصارى ، وأن مراجعات بعض الجماعات الإسلامية مؤخرا استنكرته، وعدته عملا غير إسلامي .. وانتهى التقرير بطريقة غير مباشرة إلى ترسيخ دموية الجماعات الإسلامية ، وبالتالي دموية المفاهيم الإسلامية في ذهن المشاهد ، مما يعني أن الجريمة معلقة في رقبة الإسلام والمسلمين !

واستنفر الكتاب العلمانيون واليساريون المتأمركون أقلامهم لإدانة الحركة الإسلامية والإسلام قبل أن تتكلم النيابة أو تكشف عن تحقيقاتها في الحادث المفجع ، وذهب بعضهم من لابسي الكاكي (سابقاً) إلى أن استئصال الجماعات الإسلامية هو الذي سيقضي على مثل هذه الحوادث بعد أن قرر بقلب بارد أن الجريمة قام بها إسلاميون أصوليون متعصّبون !

في يوم الجمعة ٢٠٠٨/٥/٣٠م نشرت جريدة "الأهرام" الحكومية في صفحتها الأولى أن تحقيقات النيابة الأولية تشير إلى أن دوافع حادث الزيتون ليست إرهابية أو طائفية ..

وفي اليوم ذاته نشرت جريدة "المصري اليوم" تحقيقاً مطولاً حول الحادث أشارت فيه إلى أن صاحب المحل ترك قريته في سوهاج منذ أربعين عاماً ولم يعد إليها أبداً ، مما يعني احتمال أن يكون الدافع ثأرياً كما هي عادة الصعايدة ، كما أشارت أيضاً إلى أن منطقة الحادث تضم مقاهي يلتقي فيها تجار الآثار، أي إن صاحب المحل القتيل قد تكون له علاقة بصفقة سريّة أو خلاف مع تجّار الآثار أدى إلى الجريمة ، وأشار التحقيق كذلك إلى احتمال أن القتل قد يكون بدافع التصفية الجسدية ، حيث لم تحدث مسروقات في المحل مع وجود أكثر من خزينة بها أموال ومجوهرات بالإضافة إلى البضاعة المعروفة .

ما نشرته الأهرام والمصري اليوم يرجع بل يؤكد أن العملية جنائية محضة ، لا علاقة لها بالإسلام ولا بالجماعات الإسلامية ، وهو ما يردّ عملياً على من أدمنوا اتهام الإسلام والمسلمين من الذين يتمرغون في الأموال الطائفية ويلعبون بالورقة الطائفية ، ويتربصون بالوطن البائس في مثل هذه المناسبات للرقص في حلبة الإجرام وتمزيق الشعب ..

بيد أن الأخطر من كل ذلك ، هو ما نُقل عن مصدر بالمقر البابوي أن البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقصية الموجود في رحلة بالولايات المتحدة الأمريكية حالياً ، كلف الأنبا يوحنا ، سكرتير المقر البابوي بمتابعة تحقيقات الحادث وإبلاغه بالتطورات أولاً بأول في أثناء رحلته ، فيما رفضت الكنيسة التسرع في تصنيف الحادث ، وأكد عدد من القساوسة ثقتهم في أن رجال الأمن لن يناموا حتى القبض على الجناة ! (المصري اليوم) ٢٠٠٨/٥/٣٠م

وخطورة هذا الخبر ، هو أن البابا شنودة ، يتابع الحادث بوصفه مسئولاً سياسيا - لا كنسيا - عن طائفة متميزة ، ليست ضمن النسيج الشعبي العام ، الذي يحكمه قانون ودستور وقضاء وأجهزة أمن ، تتابع الجريمة بأشكالها كافة وتتعامل معها وفقاً لأصول تواضع عليها المجتمع منذ عرف القانون .

سوف نفترض أن الحادث نفسه وقع لبائع مصوغات مسلم ، فهل يجوز أن يصدر شيخ الأزهر تصريحاً مثل تصريح الأنبا شنودة ويعلن أنه يتابع الحادث بنفسه ، ولا يتسرع في اتهام النصارى بارتكاب الحادث ؟

واضح أن فلسفة التمرد الطائفي هي التي حكمت تصريح الأنبا شنودة الذي سربه المقر البابوي ، وكلام رجال الدين الذين تابعوا منهج الأنبا، وكأنهم يقولون لأهل السلطة في مصر : إن لم تهتموا بعملكم ، فسنأخذ زمام المبادرة ،

ونتخذ الخيار المناسب ، بدءاً من الاعتكاف ، وإطلاق عناصر التظاهر والتهييج في الغرب ، حتى الاستنجاد بقيادة العالم الصليبي الاستعماري !

المفارقة أن حادث الزيتون جاء عقب إعلان تمديد قانون الطوارئ الذي يحكم مصر المحروسة منذ نصف قرن أو يزيد باستثناء سنة واحدة وبضعة شهور ، وكأنه محكوم على الشعب المصري بالعبودية طول عمره من جانب الغزاة المستعمرين الصليبيين والصهاينة ، أو المحليين والوطنيين ، لأنه لا يليق به غير العبودية والذل والهوان ، فقد ارتضى لنفسه أن يصفق لجلاديه وأن ينافق قاهريه وأن يتخلى عن طلائعه الحرّة المكافحة !

والذين يُصرّون على استعباد الشعب بالطوارئ أو القوانين التي تعد أشدّ من الطوارئ ، يُسوّغون موقفهم الشيطاني بمثل حادث الزيتون ، وإذا أضفنا إلى ذلك بعض الحوادث التي تلت هذا الحادث مثل حادث السرقة في الإسكندرية ، وحادث قتل مسلم في ملوي بالمنيا بسلاح قسيس في خلاف على أرض "وضع يد" للمسلمين استولى عليها النصارى بالقوة لضمها إلى دير "أبو فانا" ، ثم تظاهروا بعد قتل أحد المسلمين تظاهرة طائفية شاذة تهتف باسم شنودة وتحرضه على التحدي؛ فإن الأمر يبدو مريباً ومثيراً للاشتباه .

صحيح أن السلطة لا ينقصها خلق أسباب إنشائية لاستمرار قانون الطوارئ وخنق الحريات العامة وإذلال الشعب البائس ، ولكن وقوع مثل هذه الحوادث كفيل بطرح ألف علامة استفهام .. ثم محاولة ربطها بالتمرد الطائفي الذي تبدى صريحاً في بعضها وغامضاً في بعضها الآخر .

إن استخدام السلاح من جانب رجال دين نصارى في النزاع على أرض "وضع اليد" في ملوي بالمنيا ، يمثل حالة مستفزة خاصة وأنه أدى إلى مقتل مسلم ، كما سبق أن أطلق الطائفيون المتعصّبون النار في أحداث الإسكندرية وحوادث أخرى مما أدى إلى مقتل بعض المسلمين ، دون أن يحاسب أحد من النصارى ؛ وهو ما يعيد إلى الأذهان طرح السؤال القديم المتجدد عن تخزين السلاح في الكنائس ؟ ولماذا ؟ وهل تظل السلطة صامتة عن معالجة هذا الأمر بالتوضيح أو استخدام القانون ؟.. ثم إن ارتكاب بعض الحوادث ونسبتها إلى جماعات إسلامية وهمية ، كما فعل بعض النصارى في مطروح العام الماضي (٢٠٠٧) ، وانكشاف أمرهم بعد أن وقعوا في يد القانون يؤكد أن هناك خططاً مجرمة وآثمة لا تريد الخير لهذا الوطن، ولا للنصارى؛ لأن نتائج هذه الخطط ستكون وبيلة ، خاصة إذا انطلق سراح العامة والدهماء واندفعوا بالعاطفة العمياء للانتقام من صنّاع الشرّ والفتنة والأذى !

إن قانون الطوارئ وحادث الزيتون وما تلاه من إرهاصات الشرّ المستطير التي يمكن - لا قدر الله - أن تعصف بالجميع ، وتدمر الجميع ودعك مما تقوله الأبواق والطبول المأجورة في صحف الحكومة وأجهزة دعايتها عن أهمية الطوارئ وضرورتها لحفظ الأمن ، فهو من الكذب الصراح والنفاق الرخيص الذي لا يستحق الردّ ، فحوادث القتل والذبح والاغتيال وقعت كلها في ظل هذا القانون الفاجر ، والتمرد الطائفي السافر .. وفي السنة وبضعة الشهور التي عاشتها مصر أواخر السبعينيات بدون طوارئ وانتهت بحوادث سبتمبر ١٩٨٠ التي تم فيها اعتقال صفوة مصر ؛ لم تقع حادثة واحدة ، لا إرهابية ولا طائفية . ويا ليت القوم يفقهون .

زهرة المدائن .. وأوساخ الصهاينة !!

في غمرة المفاوضات العبثية بين سلطة الحكم الإداري الذاتي المحدود في رام الله ، وبناء المستعمرات في القدس العتيقة المحتلة ، وعمليات القتل اليومي والاعتقال المستمر للشعب الفلسطيني في غزة والضفة ، وحصار القطاع حصاراً وحشياً يؤدى إلى الموت المجاني تتسرب الأخبار عن قرب تنفيذ المراحل الأخيرة لهدم المسجد الأقصى المبارك ، وقبة الصخرة والآثار الإسلامية في زهرة المدائن ، لإقامة ما يُسمى بالهيكل تنفيذاً لوعود الرّب لليهود القتلة الغزاة ! وتنشر الصحف الصهيونية لأول مرة صور الهيكل المقترح إقامته فضلاً عن الصورة المتخيلة لمدينة داود القديمة وفقا لمزاعم توراتية كاذبة !

الغزاة اليهود القتلة يعملون في دأب وإصرار وجرأة لتهويد المدينة المقدسة ونفى الصفة الإسلامية عنها ، وتدمير أعزّ ما يتمسّك به المسلمون من آثار إسلامية ، دون أن يعبئوا بأخلاق أو ضمير أو قانون دولي .. ثم إنهم لا يضعون في حسبانهم أي ردّ فعل للحكومات العربية والإسلامية القائمة ، فكثير منها يتهافت على كسب الود والرضا ، من حكومة العدوّ النازية ، والتطبيع معها ، والمرور من خلالها إلى رضا الشيطان الأكبر ومودته ، واكتساب شهادة حسن السير والسلوك من عاصمته الصليبية الاستعمارية واشنطن ..

لقد أخذت مقولات الصهاينة القدامى والجدد تظهر إلى الوجود مرة أخرى دون حياء أو خجل ويُعاد ترديدها ، إذلالاً للعرب والمسلمين في ظل ضعفهم وتفرقهم وتناحرهم . يقول المستعمر اليهودي الصهيوني الأول "تيودور هرتزل" :

"إذا حصلنا يوماً على القدس سأزيل كل ما ليس مقدساً لدى اليهود وأحرق الآثار التي مرت عليها عبر القرون" .

ويقول سلومون جرشون ، زعيم حركة أمناء جبل الهيكل في ها آرتس ١٩٩٨/٩/١٥م :

"لن نتخلى أبداً عن جبل الهيكل - يقصد الحرم القدسي - ومهمة جيلنا هي تحرير الجبل وإزالة كل الأوساخ عنه !! ولن ينجحوا - يقصد العرب والمسلمين - في وقف شعب إسرائيل على بوابات جبل الهيكل ، وسنرفع العلم الإسرائيلي فوقه ، ولن تكون هناك لا قبة ولا صخرة ولا أقصى ، إنما فقط علم إسرائيل والهيكل ، وهذه هي الوصية التي أوجهها لجيلنا".

إن القوم الغزاة منذ مؤتمر بال في سويسرا أواخر القرن التاسع عشر ، يعلمون ويعملون ويعرفون ما يعملون ، ويُهيئون العالم لما يعلمون ، وفى كل الأحوال يتحركون بمنطق القوة والهيمنة والقسوة بلا حدود ، وهم اليوم بعد أكثر من أربعين سنة من احتلال القدس العتيقة ، يشرّعون وهم اللصوص القتلة لما يُسمى القدس الموحدة عاصمة للكيان النازي اليهودي الغاصب ، وفى الذكرى الحادية والأربعين لاحتلال الضفة والقطاع والجولان وسيناء وأجزاء من جنوب لبنان في الخامس من يونيو ١٩٦٧م ، صادق ما يُسمى الكنيست اليهودي بالقراءة التمهيدية بأغلبية كبيرة على مشروع قانون يُعيد القدس المحتلة عاصمة الكيان الغاصب والشعب اليهودي ، وذكر راديو الغزاة بأن مشروع القانون تقدم به النائب عن حزب المفدال "زفولون أورليف".. وكانت الإرهابية اليهودية "جيئولا كوهين" (وهى والدة رئيس لجنة الخارجية والأمن الحالي في الكنيست واسمه تساهى ها نجبى) قد تقدمت عام ١٩٨١م بمشروع قانون ضم القدس المحتلة إلى الكيان الغاصب ، واقترحت إعلان القدس

بالحدود التي رسمها الغزاة في يونيو ١٩٦٧م عاصمة رسمية ، وفرض حظر على تقسيم المدينة الأسيرة أو تغيير حدودها ، لتصير القدس الموحدة والعاصمة مبدأ دستوريا في جهاز القانون اليهودي للكيان الغاصب .

وفي عام ٢٠٠١م أضاف الكنيست بنداً إلى القانون يقول إن حدود مدينة القدس هي الحدود الواردة في الأمر الحكومي في يونيو ١٩٦٧م ، وأنه يمنع نقل صلاحيات السلطات اليهودية في القدس لأي عنصر سياسي أجنبي . ومن حين لآخر يُمارس الغزاة اليهود على الأرض ، أخطر عمليات التهويد ، وذلك بإقامة المساكن اليهودية والمستعمرات اليهودية في القدس العتيقة وما حولها ، مع ممارسة التطهير العرقي ضد السكان العرب والمسلمين في المدينة المقدسة ، والاستيلاء على ممتلكاتهم العقارية ومؤسساتهم الاجتماعية تحت ذرائع كاذبة وواهية .

في الوقت نفسه ، فإن الغزاة النازيين اليهود يسعون للحصول على الدعم العالمي مادياً ومعنوياً ، خاصة من دول الغرب الصليبي الاستعماري بقيادة الولايات المتحدة ، حتى صار تقليداً دورياً أن يتسابق مرشحو الرئاسة الأمريكية لإرضاء الغزاة النازيين اليهود ، وتأييد دولتهم الاستعمارية الغاصبة والموافقة على كل خططهم الإجرامية ضد العرب والمسلمين ، والمدينة المقدسة بالدرجة الأولى .

لقد أكد مؤخرا المرشح الديمقراطي للانتخابات الرئاسية الأمريكية "باراك أوباما" أنه سيعمل على إلغاء التهديد الذي تشكله إيران(!) لمنطقة الشرق الأوسط وللأمن الدولي كما أكد أن القدس يجب أن تبقى عاصمة موحدة للكيان الغاصب ، وشدّد أوباما في خطاب ألقاه أمام الاجتماع السنوي للجنة الشئون العامة الأمريكية اليهودية (إيباك) في ٢٠٠٨/٦/٣م على دعمه للدولة العبرية مشيداً بما أسماه العلاقات الوثيقة بين الولايات المتحدة والكيان الغاصب . وأضاف : بصفتي رئيساً ، لن أقوم بأية تنازلات عندما يتعلق الأمر بأمن الكيان العبري ، منددأ بالذين ينفون وقوع المحرقة في حق اليهود ، والذين يريدون تدمير كيانهم الغاصب في فلسطين ، والذين لا يعترفون بوجود هذا الكيان ! وعدّ أوباما الكيان الغاصب أمراً مقدساً (!) وغير قابل للتفاوض .

المرشح الأمريكي الآخر "جون ماكين" موقفه لا يقل عن "جورج بوش الابن" ذوبانا وهياماً وحباً في الكيان العبري الغاصب ، وبوش كما نعلم هو الصليبي التوراتي ، الذي يعد أكثر الرؤساء الأمريكيين ولاءً لليهود وللدولة العبرية الغاصبة ، وأكثرهم غزلاً في القادة اليهود السفاحين بدءاً من بن جوريون حتى آريل شارون ! وخطابه في الكنيست بمناسبة الذكرى الستين لقيام الدولة العبرية الغاصبة خير دليل على ولائه وغزله الآثم !

ترى هل نترك زهرة المدائن تشهد قيام الهيكل المزعوم ، ونحن نضع أيدينا على خدودنا عجزاً وقهراً ؟ أعلم أن أباطرة منظمة التحرير في رام الله وخارجها مشغولون بتنمية ملايينهم الحرام ، وأن الحكومات العربية والإسلامية مشغولة بقهر معارضيها واسترضاء اليهود والأمريكان ، وأن الأمم المتحدة صارت فرعاً لوزارة الخارجية الأمريكية وأن "بان كي مون" تحول إلى سكرتير للآنسة كوندي .. ولكن أين الشعوب العربية والإسلامية ؟ بل أين أغنياء فلسطين في الخارج الذين يستطيعون شراء الممتلكات الفلسطينية وغير الفلسطينية في القدس وغير القدس ، وإزالة أوساخ الصهاينة !

إن الطريق إلى القدس العتيقة معروف ، ولكن المدعو عبد ربه له رأي آخر !

هذه هي العلمانية !

العلمانيون في تركيا طوّعوا القضاء لمحاربة الإسلام ، وحكمت محاكمهم بإلغاء إرادة الشعب المسلم حين أقر حق المحجبات في التعليم العالي .. أما تونس الخضراء ، فقد أصدرت وزارة شئون المرأة التونسية فيها قراراً يقضي بحظر الحجاب على الموظفات المنتسبات إليها ، وعدت الوزارة المذكورة تغطية الرأس شكلا من أشكال التطرّف ولا يمت لديننا الإسلامي الحنيف !

العلمانيون الأتراك والعرب يرتدون عمامة الفتوى ، ويفسرون الإسلام على طريقتهم الخاصة .. والعلمانية عندهم في كل الأحوال هي إخراج الناس من الملة .. فهل يقنعون إذا كفر الناس بالإسلام ؟ أم يصرون على ذبحهم مثلما فعلت محاكم التفتيش في الأندلس ؟!!

الحوار .. والحصار !

حين تنازل فخامة الرئيس آية الله محمود عباس ميرزا زعيم سلطة الحكم الإداري الذاتي المحدود في رام الله ؛ وأعلن عن رغبته في الحوار مع منظمة حماس ، تفاءل بعض الناس خيرا وقالوا : لقد آن الأوان للمّ الشمل الفلسطيني ومواجهة العدو النازي اليهودي علي قلب رجل واحد انطلاقا من مبدأ : قاوم وفاوض .. ولكن الآنسة كوندي لم تمهل هذا البعض طويلا حيث اتصلت علي الفور بفخامة الرئيس وسألته عن طبيعة هذا الحوار، ويبدو أنها حذرته من المصالحة مع قومه فخرج علي الفور أحد أباطرة منظمة التحرير ليتحدث عن ضرورة إعادة الأوضاع إلي ما كانت عليه قبل يونيه ٢٠٠٧ ، وتراجع حماس عما يسمي بانقلابها علي السلطة الشرعية !

لم تبد عاصمة عربية ترحيبا باستضافة الحوار أو الاتصال بالطرفين لجمعهما . ويبدو أن تجارب الاتفاقات السابقة في القاهرة ومكة المكرمة وصنعاء لم تشجع علي دعوة فتح وحماس أو التدخل بينهما للتوفيق والتفاهم .. وحده الرئيس السنغالي "عبد الله واد" فاجأنا بدعوة مندوبي الفريقين إلي داكار بوصفه رئيس الدورة الحالية لمنظمة المؤتمر الإسلامي وقد نشرت جريدة "القدس العربي" التي تصدر في لندن ٢٠٠٨/٦/١٢م أن الرئيس السنغالي كان صريحا وحادا حيث قال للوفدين: بحكم خبرتي القانونية وبوصفي محاميا (كان محامي الثورة الجزائرية) اطلعت علي النظام الأساسي الفلسطيني ؛ تبين لي أن حكومة إسماعيل هنية هي حكومة شرعية بصفتها حكومة تصريف أعمال وأن حكومة الدكتور سلام فياض غير شرعية .. كان الرئيس السنغالي يقرأ نصوص القانون الأساسي أمام الوفدين ، وقال لهم إنني أحاول الوصول معكم إلي حل وسط .

ووصفت بعض المصادر المهندس "حكمت زيد" رئيس وفد حركة فتح أنه كان متعنتا ورافضا في البداية مبدأ إصدار بيان مشترك يوقع عليه الطرفان، ولكنه وافق بعد ذلك حين أصر الرئيس السنغالي علي ذلك مشترطا عدم الإشارة إلي أنه جري حوار بين وفدي فتح وحماس والاكتفاء بأن الرئيس استمع من الوفدين كلاً علي حدة ، بيد أن الرئيس السنغالي انفجر في وجه زيد غاضبا وقال إني أصرح بما أريد ولا أسمح لك بأن تطلب مني تزوير الحقائق، وإنه ليؤسفني أن أصارحك بأنك لم تكن صادقا معنا فقد ادعيت أنك مسفوض ثم بدأت تتهرب وتتنصل من مسئوليتك فأنت لم تأت بنية الاتفاق وإنما

لقطع الطريق علي أي اتفاق، وأضاف الرئيس في حديثه إلي زيد أنتم تلعبون لعبة أكبر منكم وأنا أعرف من وراءكم وماذا تريدون ، وإذا لم تتجاوبوا معنا (موجها كلامه لوفد فتح) سأخرج إلي الإعلام وأعلن أن حوارا جري بين الطرفين وأبرز الوثائق الخطية والصور التي تثبت ذلك وأحملكم مسئولية الفشل !

وتضيف "القدس العربي" نقلا عن مصادرها أن وزير خارجية السنغال "شيخ تيجان جاديو" أكمل الحديث بعد أن توقف الرئيس قائلا لوفد فتح : لقد نصيتم لنا فخا وحضرتم بنية عدم الموافقة علي أي شيء مخفين أجندتكم . ثم توجه حديثه إلي المهندس زيد : لقد ادعيت أنك مفوض ولكن كنت تعود للرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن) في كل شيء .

وقال الرئيس السنغالي أمام الوفدين : بصراحة أريد التنويه أن حماس كانت معنا وتصرفت بمسئولية عالية فأرسلت وفدا مفوضا رفيع المستوي وكان سلوك الوفد جادا وتعاملوا بمسئولية وطنية تجاه كل الاقتراحات بما فيها الاقتراحات المجحفة ..

وأمام الانتقاد السنغالي اضطر وفد فتح للتوقيع علي البيان وإن كان المهندس زيد نفي أن يكون ذلك قد حدث من الرئيس السنغالي أو وزير خارجيته واتهم الرئيس بأنه ليس علي معرفة كاملة بالخلاف الداخلي الفلسطيني ، واضطر للضغط علينا أمام الطرف الآخر (حماس) الذي يعرقل الأمور ، بهدف جرهم وإقناعهم .

وواضح أن القوم في رام الله ؛ لهم غايات أخري مختلفة تماما عما يريده الشعب الفلسطيني ، وأن الآنسة كوندي لها القول الفصل في تحركاتهم وسلوكهم ومواقفهم ، وقد زارت مؤخرا الضفة الغربية وأعلنت أن المستعمرات اليهودية لن توقف المفاوضات (تقصد المفاوضات العبثية بين السلطة والغزاة) ؛ وتحت مظلة رايس أعلن اليهود القتلة أنهم قرروا إقامة أربعين ألف مسكن في القدس الشرقية المحتلة وأعلن أحد قادتهم أن القدس والمستعمرات خارج نطاق المفاوضات .

يتم ذلك والحصار الصهيوني لغزة وشعبها يأخذ منحني خطيرا في إطار حرب الإبادة التي يشنها النازيون اليهود الغزاة ضد الشعب الفلسطيني وحرمانه من أبسط ضروريات الحياة.

إن المجاهدين في غزة والضفة يدافعون عن وطنهم ويبذلون الأرواح الغالية، ولكن أباطرة رام الله يجيدون الإنشاء والبلاغة الفارغة في تسويغ مواقفهم المتخاذلة المنكرة ، واستخدام معجم متكرر لا يملون من ترديده مع أنهم يعلمون أنه كذب كله ، وافتراء كله ، وتضليل كله.. فيزعمون أن حماس قد انقلبت علي الشرعية ! والسؤال البسيط : هل هناك من ينقلب علي نفسه ؟ إنهم حماس ؛ أي أصحاب الشرعية , وقاموا بحمايتها من خونة الأمن الوقائي الذين خططوا أو خطط لهم العدو الصهيوني مع الوحشية الأمريكية لإسقاط الشرعية واستئصال الإسلام فجاءت رمية من غير رام ؛ حين أرادت حماس أن تضع حدا للقلاقل والتفجيرات والمذابح التي قام بها أنصار دحلان ، فاكتشفت المؤامرة والمتآمرين وكان القضاء علي خطة دايتون والخونة أمرا طبيعيا وظن الغزاة وحماتهم في واشنطن أن الحصار سيقلب الأوضاع ويقضي علي المقاومة ولكن خاب ظنهم وأخفق مسعاهم حين رأوا الشعب الفلسطيني يزداد تمسكا بالمقاومة وحماس والجهاد والجبهة وبقية الفصائل المجاهدة .

لقد استطاع المحاصرون أن يصنعوا ملحمة

فريدة في الصبر والاحتساب، وفي الوقت ذاته تمكنوا من خلق ميزان الرعب الذي جعل الغزاة القتلة يولولون في المستعمرات التي تقع علي حدود القطاع وشعر سكان سيدروت وعسقلان أن واحدا من أقوي جيوش العالم لا يستطيع حمايتهم وقد جربوا، ومازالوا، غاراتهم الوحشية بأحدث الطائرات والدبابات والمدفعية وقتل العشرات وإصابة المئات علي مدار الساعة ولكنهم لم يحققوا الأمان ولم ينالوا السلام.

إن أباطرة رام الله يلعبون لعبة خطرة وينساقون وراء العدو وحماته من أجل مصالحهم الخاصة ومنافعهم الشخصية وهو أمر يصيب القضية الفلسطينية في مقتل، ويؤخر عودة الحقوق إلي أصحابها ولكن صفحات التاريخ لا ترحم، والشعوب تنتصر في النهاية .. وليت قومي يعلمون.

كراهية الإسلام!

اعتاد نفر من كتاب صحيفة يومية كبرى اصطياد بعض الأحداث لإعلان شماتتهم في الإسلام والمسلمين، ولا أدري لماذا يجاهرون بهذه الصورة الفجة، وهم يعلمون جيدا أن المسلمين لن يتركوا إسلامهم مهما كانت قوة الخصوم والأعداء .. هل حكم المحكمة الدستورية التركية الخاطئ برفض التعديلات التي تسمح للطالبات التركيات بارتداء الحجاب يمثل نصرا تاريخيا على الإسلام يستحق هذه الشماتة من كتاب يحملون أسماء إسلامية في صحف يفترض أنها إسلامية في بلد يعد عقل الإسلام وقيادته الفكرية؟ ترى ماذا يقولون عندما تحكم هذه المحكمة الظالمة بحل حزب العدالة والتنمية الحاكم، لأن بعض أعضائه لديهم جذور إسلامية؟.. عيب يا سادة!

مفاوضات.. ومستعمرات

أعجب كثيرا لإصرار فخامة الرئيس آية الله محمود رضا عباس ميرزا، رئيس سلطة الحكم الإداري الذاتي المحدود في رام الله، علي مواصلة التفاوض العبثي مع رئيس الوزراء النازي اليهودي المتهاوي تحت ضربات التحقق والإدانة لدرجة أنه لن يكمل - حسب بعض المراقبين - شهرا أو شهرين في منصبه، ولن يحقق التفاوض معه علي فرص ايجابية أية ثمار لحل المشكلات المؤقتة التي يعانيها الشعب الفلسطيني، أو حل القضايا الأساسية التي يفترض أن يتفق عليها المفاوضون.

لقد هرول فخامة الرئيس عباس إلي القدس المحتلة، وعانق أيهود أولمرت، عناقا حارا، وهو يستمع إلي أصوات رفاقه ومعارضيه، تطلب منه الرحيل والخروج من كاديما ولزوم بيته وانتخاب زعيم آخر يقود الكيان الصهيوني بصورة أفضل .. ولكن فخامة الرئيس لم يعبأ بتلك الأصوات وأصر علي مواصلة الذهاب إلي صديقه الحميم الذي لم يعد يملك من الأمر شيئا في القدس المحتلة ليقضي معه الساعات يخرج بعدها السيد صائب عريقات المسئول عن فريق التفاوض الفلسطيني ليقول إن هناك اختلافا عميقا بين الطرفين حول قضايا التسوية النهائية وإن الفريق النازي اليهودي متمسك بمواقفه في تفسير هذه القضايا التي تعني دون أن يقول ذلك صراحة أنه لا انسحاب من القدس، ولا عودة للاجئين ولا حدود ١٩٦٧، ولا كلام في المياه ولا حديث في المستعمرات .. أي إن القوم الغزاة النازيين اليهود يقدمون لعباس ما تبقي من كانتونات يكون حارسا عليها وهي خالية من الإرهاب (المقاومة) والسلاح والدعاية ضدهم .. أي كانتونات ملحقة بالكيان الغاصب قبل ١٩٤٨ مقطعة الأوصال

بالمستعمرات والسواتر الرملية والحواجز العسكرية .

كل جلسات التفاوض الثماني عشرة بين عباس وأولمرت لم تنتج شيئا إلا مشاهد العناق والقبلات وشيئا آخر مهما وخطيرا ..

هذا الشيء هو الإعلان قبل كل جلسة عن بناء المزيد من المستعمرات . وقبل الجلسة الأخيرة في ٢٠٠٨/٦/٢م، وأظنها كذلك ، أعلن إيهود اولمرت عن مناقصة لبناء تسعمائة مسكن في القدس الشرقية التي احتلت في عام ١٩٦٧ ؛ ولم يراع أن صديقه عباس سيزوره في الغد وسيعانقه عناقا حارا ويلتقط لهما المصورون صورا تذكارية تاريخية تنشرها الصحف والتليفزيون في شتى أنحاء العالم .

المستعمرات تهويد عملي للأرض العربية وتهويد للمدينة المقدسة التي حررها صلاح الدين من الصليبيين قبل ثمانمائة عام ، وهو ما يعني أن المفاوضات طريق عبثي للندامة وليس طريقا سليما أو مستقيما لاستعادة فلسطين وحقوق الشعب الفلسطيني .

قال المدعو عبد ربه : إن لم تتوقف المستعمرات ، فستكون هذه نهاية أنا بوليس !! ولم يقل لنا الشوري السابق ما هو الخيار البديل لطريق الندامة ! بعد أن تم تنظيف الضفة من أفراد المقاومة ، وتجريدها من السلاح، وتقديم أبنائها مجانا لسجون العدو !

كان الأولى بفخامة الرئيس ومساعده الشيوعي المتأمرك أن يسلكا طريق السلامة وهو أقصر من طريق المفاوضات العبثية بكل تأكيد ويتمثل هذا الطريق في إصلاح ذات البين وتوحيد الفصائل والتماسك الوطني في مواجهة الغزاة الأشرار، لكنهما نكصا علي عقبيهما وألقيا أذنيهما للولايات المتحدة والغزاة النازيين اليهود ، وعدا (حماس) والفصائل المقاومة خطرا يجب القضاء عليه وسحقه وتفريغ الضفة والقطاع من كل أثر للمقاومة أو المقاومين وظنا أن ذلك سيقرب يوم التحرير ولكن هذا اليوم لم يأت حتى الآن، وأيضا فإنهما لم يستطيعا القضاء علي المقاومة أو منظماتها .

ومع كل التنازلات والأحضان والقبلات لم يقدم الغزاة النازيون شيئا يذكر بل إنهم زيادة في البجاحة والإجرام يستبيحون مدن الضفة ، ويقتحمون بيوتها ومؤسساتها ويقبضون علي الفلسطينيين العزل ، ويدفعونهم في السجون النازية اليهودية ، وتساعدهم في ذلك قوات الأمن الفلسطيني التابعة لفخامة الرئيس والموالية لتلميذه دحلان .

إن الغزاة النازيين اليهود لا يفكرون في السلام ولا يسعون إليه ولا يريدونه ، لأنهم أقوياء، ولا يخسرون شيئا يذكر ، بل إنهم يبحثون عن مزيد من القوة ، والنازي اليهودي أولمرت يطير بعد مفاوضاته العبثية مع أبي مازن إلى واشنطن ليتفاوض على طائرات هجومية من طراز إف ٣٥ ، وشبكة مضادة للصواريخ القصيرة تؤمن جنوب الكيان الغاصب ، واليهود الغزاة يفكرون الآن في مرحلة ما بعد عباس : من الذي سيخلفه ؟ وكيف سيتعامل معهم ؟ ثم وهو الأهم كيف يمكنهم العمل علي استمرار شق الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع وتحويل الصراع من مواجهة بين الشعب الفلسطيني والغزاة إلي مواجهة بين فتح وحماس وبين الاثنين والجهاد أو التحريض للإيقاع بين الإسلاميين والعلمانيين أو بين أهل الضفة وأهل غزة علي أساس عنصري وقبلي .

والغزاة النازيون اليهود لا يخافتون بمخططهم هذا بل يعلنونه في صحفهم وإعلامهم ويسعون للاستفادة من كل العناصر والمواقف التي تؤدي إلي التمزيق والتفتيت مع

ملاحظة أن هذا ديدنهم وهدفهم منذ وطئت أقدامهم أرض فلسطين قبل مائة عام أو يزيد، فقد كانوا يحرضون الفرقاء الفلسطينيين ضد بعضهم بعضا ، واستغلوا جيدا "نقطة الضعف" الواضحة في العرب عامة والفلسطينيين خاصة ، وهي حب الزعامة والقيادة ولو كانت علي حساب المصالح الوطنية والاجتماعية فراحوا ينفخون فيها لإشعال النار وتوريث البغضاء ونسيان القضية .

التاريخ يقول لنا إن العائلات الكبيرة الخمس في فلسطين كانت سببا في تدهور التماسك الفلسطيني قبل ١٩٤٨ وإن الأنانية بين قيادات العمل العسكري والفدائي في عام ١٩٤٨ كانت عنصرا فعالا في سقوط القسطل والقدس الغربية ولا أريد أن أفصح أكثر من ذلك .. لقد استمر مسلسل الخلافات والشقاق حتى يومنا هذا ، وهو ما جعل بعض الفلسطينيين يبدو ناطقا بلسان الغزاة اليهود أكثر مما ينطق بلسان الشعب الفلسطيني الأسير وتأمل عدد المنظمات الفلسطينية وعديد الآراء التي تحكم أطرافها ، وقارن ذلك بما فعله الجزائريون في أثناء مقاومة الاحتلال الفرنسي والفيتناميون في مواجهة الاحتلال الأمريكي علي سبيل المثال، ستجد قيادة عسكرية واحدة وقوات مقاومة واحدة وتصحيح الأخطاء أولا بأول في ظل وضوح هدف ووحدة غاية ..

لقد بحت الأصوات من أجل أن يتوحد الفلسطينيون تحت راية واحدة وغاية واحدة وقيادة واحدة ولكن لا حياة لمن تنادي .. إذا قبل فريق الاستجابة فإن الآخر يرفض ويتعالي ويتغطرس علي أشقائه وإن كان يقبل ويستخزي ويتذلل أمام العدو النازي اليهودي وهو أمر مريب .

كان الناس يتوقعون أن تكون الانتخابات التشريعية الديمقراطية في عام ٢٠٠٦ طريقا للتوافق الفلسطيني والعمل المثمر ولكن الولايات المتحدة والغزاة اليهود لم تعجبهم نتيجة الانتخابات فحرضوا فريقا علي فريق وأغروا فريقا بالمال والسلاح لينقض على الآخر ،فانفصمت عروة التوافق وانقسمت السلطة الإدارية المحدودة إلي سلطتين وراح الفريق الناكص علي عقبيه يمضي في طريق الندامة، ويعلق آمالا واهية علي وعود كلامية لم تثمر إلا خرط القتاد والمزيد من الفرقة والآلام .

يا أنصار حرية التعبير ؟!

في معرض الكتاب الدولي - الدورة ٢٦ - بتونس الخضراء ، قامت السلطات بمصادرة آلاف الكتب الإسلامية ؛ التي سمتها كتبا "ظلامية" (هل يشرح لنا أحد المقصود بالكتب الظلامية ؟)، وقال مدير المعرض أبو بكر بن فرج "إنه لا يمكن لمعرض تونس الدولي للكتاب أن يقبل تحت أي ظرف (؟!) مشاركة أعمال تنشر خطابات أيديولوجية ظلامية تتعارض مع القيم الأساسية للمجتمع التونسي !" .. وأضاف المذكور أنه "ليس لدينا مشاكل مع الكتاب الديني (لعله يقصد الكتاب الديني غير الإسلامي ؛ لأنه لا يستطيع هو ولا من فوقه أن يقتربوا منه) لأن تونس دولة الإسلام وصورته الحقيقية !!" (صحف ٢٠٠٨/٤/٢٧م) ..

ونحن نسأل السادة بتوع التنوير وحرية التعبير ما رأيهم في حكاية الكتب الظلامية هذه ؟ وهم يتنادون ويعلنون الحرب العالمية إذا اعترض أحد ، مجرد اعتراض ، على كلام سخيف ساقط لأحدهم من عينة "تزغيط البط" الذي يسيء إلى الذات الإلهية ؟

ليتهم يتكلمون !..

أ.د. حلمى القاعود

جوانب من العولمة !!

فى التعليق السابق حول الهجرة غير المشروعة جوانب وأبعاد مختلفة ، منها ما يتعلق بكشف جوانب من مفهوم العولمة الواسع المدى، والذى يتردد كثيراً وعلى مدى حوالى العقد .. ومن هذه الجوانب ما يمكن تسميته بالطريق الواحد للعولمة ، وأنها عملية فرض لحضارة وثقافة ومصالح طرف واحد هو الطرف الغربى وعلى رأسه الأمريكى دون السماح بأى تناول أو تفاعل فى الاتجاه الآخر .

ومصطلح العولمة يخفى بين طواياه هذه الحقيقة تحت تظاهر بأن العولمة وحسب إيحاءات اللفظ هى عملية يشارك فيها الجميع ويتفاعلون ويتبادلون أو حتى يتعاونون فى سبيل خلق حضارة عالمية تعبر عن الجميع ، وتحقق المصالح الكوكبية دون قهر أو فرض أو استعباد .. ووفق المفاهيم التى تتكرر كثيراً مثل الديمقراطية والمساواة والتعددية وحوار الحضارات والثقافات والأديان .. لكن ما يحدث فى سياق مفهوم الهجرة غير المشروعة يكذب هذا الإيحاء الزائف .. ففى هذا السياق نجد بالفعل مسألة الاتجاه الواحد ، فالغرب يسمح لنفسه بأن يقذف ويرمى ويفرض ثقافته وقيمه ومصالحه على كل أنحاء العالم .. بما فى ذلك الهجرات التاريخية المعروفة إلى الأمريكتين واستراليا وإلى شرق ووسط آسيا (من العنصر الصقلبى) ثم الهجرات

د. محمد يحيى

الاستعمارية إلى إفريقيا وآسيا والتى تقع فى مركزها الهجرة الاستيطانية إلى فلسطين وقبلها الفرنسية إلى بلاد المغرب العربى .

ولكن عندما يبدأ هناك تيار معاكس ولو بالغ الحدودية من العالم الثالث إلى الغرب يحدث رفض تام يكشف عن عنصرية وتعصب وتطرف شديد كان الغرب يزعم أنها من خصائص الشعوب الأخرى ، ولاسيما الإسلامية .

ونحن هنا لا نتحدث عن التطورات الأخيرة فى مجال الهجرة غير الشرعية والتى يصفها البعض بالطوفان البشرى ، والتى ربما وجد فيها البعض مبرراً للغرب كى يخاف على نفسه من الاجتياح وإنما نتحدث عن رفض للهجرة من العالم الثالث إلى الغرب حتى فى أوقات سابقة لم تكن فيها هذه الهجرة سوى نقاط بسيطة لا تُذكر بما أننا لا نتحدث فقط عن رفض الغرب للهجرة حتى لو كانت محدودة إلى أراضيه وإنما نتحدث عن رفض مطلق لقيم وسلوكيات هؤلاء المهاجرين، وبالذات القيم الإسلامية أو العقيدة الدينية ذاتها .

ونحن أيضا لا نتحدث عن التاريخ الذى قبل فيه الغرب مبدأ الهجرات السكانية الشاملة من أراضيه إلى أراضى الشعوب الأخرى مع ما يصاحب ذلك من غزو واجتياح فكرى واقتصادى ودينى شامل ، وإنما نتحدث عن الحال المعاصر الذى يبشر فيه الغرب فى وسائله الفكرية والإعلامية بالانفتاح والتفاعلية والتبادلية فى إطار العولمة ، لكنه فى نفس الوقت يحاصر المهاجرين فى أراضيه ويقيد بقيدهم المشروع عن عقيدتهم ، ويسعى إلى تذويب هذه العقيدة ذاتها وسائر مكونات الهوية الثقافية والدينية ، فهؤلاء المهاجرون تحت مسمى الاستيعاب والاندماج، والتى طرحت فى وجه المهاجرين يحقق حتمية فى نفس الوقت الذى يصدر فيه الغرب قيمه التعددية وما شابها إلى بلدان العالم الثالث، وبالذات الإسلامية ، بل إن الغرب نفسه ووسط كل الحديث حول التعددية والتسامح هو الذى يبالغ الآن فى نشر المخاوف فيما يسمى بطوفان البشر فى إطار الهجرة غير المشروعة ويصل به الأمر إلى اتخاذ هذه المخاوف ذريعة لفرض حكومات ديكتاتورية قمعية على بلدان إفريقيا مثلا ودعم هذه الحكومات بشتى أدوات القهر لكى تقوم بمهمة واحدة فقط هى مهمة قمع الشعوب لمنع تيار الهجرة غير الشرعية .

إذن تتمخض إيحاءات مفهوم العولمة

بالحرية أو المشاركة التفاعلية العامة عن أنها ستار تخفى وراءه اتجاه الفرض من جانب ضد الجانب الآخر بشكل صارخ يجرى فيه التلاعب بالمصطلحات ووصفها بوضع التناقض بين الانفتاح والتسامح والتعددية من ناحية ومصالح الغرب وبين مكافحة الإرهاب والتطرف والانضباط والاندماج والاستيعاب من ناحية أخرى ضد الثقافات الأخرى .. ووضع المهاجرين إلى الغرب داخل هذه اللعبة هو الذي يكشف عن هذه الأبعاد ، بل ويصبح مفهوم الهجرة غير الشرعية نفسه المحك الذي يكشف عن هذا الجانب من جوانب مفهوم العولمة .. ولايزال للحديث بقية .

لماذا دارفور

ما تزال قضية دارفور موضع الاهتمام المكثف والمتواصل لما يسمى بالمجتمع الدولي على مر السنوات الأخيرة بشكل يلفت النظر. وإذا كان هذا الاهتمام قد حاول في شكله الإعلامي أن يركز في بداية الأمر على الجانب الإنساني في هذه المسألة إلا أن هذا الاهتمام من تلك الزاوية لم يخدع أحداً .

لقد حاول الغرب في البداية ومن خلال الإعلام وبعض منظمات الأمم المتحدة وما يسمى بالمنظمات الإنسانية وهيئات الإغاثة أن يوحي بأن الاهتمام بدارفور نابع من بُعد إنساني محض وأن تلك القضية تقع في إطار الأوضاع الإنسانية المتردية في القارة الأفريقية عموماً وفي سائر أنحاء العالم بسبب الحروب الأهلية والصراعات المسلحة والنزاعات والظروف من نقص الأمطار والتصحر وإهمال الحكومات وعجزها وما شابه .. إلا أن هذه المزاعم التي طرحت في البداية سرعان ما تهاوت ؛ لأن هناك قضايا إنسانية مشابهة إن لم تكن أكثر بشاعة في بلاد أفريقية مجاورة مثل إثيوبيا والصومال وبلدان الوسط الأفريقي والبلدان الأفريقية الواقعة على خط الصحراء الكبرى ناهيك عن الأوضاع الإنسانية في فلسطين والعراق وأفغانستان، إلا أن الغرب لم يولها نفس درجات الاهتمام المكثف الذي أولاه لقضية دارفور منذ البداية. كما أن الغرب لم يدخلها ضمن نطاق السياسة الاستراتيجية الغربية مثلما فعل بالنسبة لدارفور ولم يقم الدنيا لها كما فعل في حالة دارفور بإصدار البيانات والقرارات من الأمم المتحدة وتشكيل شتى أنواع اللجان في محاولة للدخول وإدخال الوساطات المتعددة وبذل الجهود الدبلوماسية المضنية التي لا تنقطع، وأخيرا إلى مساعي إرسال قوات عسكرية تحت مسمى حفظ السلام من شتى البلدان الأفريقية ثم العالمية .

ولم تصل الأمور بالنسبة للقضايا الإنسانية الأخرى، ومعظمها أشد خطورة من قضية دارفور، إلى حد التدخل الصارخ في شئون الدولة التي تحدث الأزمة على أراضيها كما حدث في دارفور حيث وصلت الأمور إلى حد

الدعوة إلى إسقاط الحكومة السودانية بقوة الغزو المسلح والعمل على تفتيت البلاد وفصل إقليم دارفور بأسره كما فصل الجنوب السوداني وكما تجري الترتيبات لفصل كردفان والنوبة .

هنا أصبح واضحاً زيف الدعاية الغربية الكاشفة على أن قضية دارفور هي قضية إنسانية بالمقام الأول تتعلق بالأحوال البائسة لشعبها. ولتغطية هذا الانكشاف ظهرت على الفور النظرية أو التصور الآخر من الغرب للحالة في دارفور .. وهنا جرت استعادة الوضع في جنوب السودان وفي بعض بلدان أفريقيا الغربية كما يراها الغرب لتطبيقه حرفيا على الوضع في دارفور .

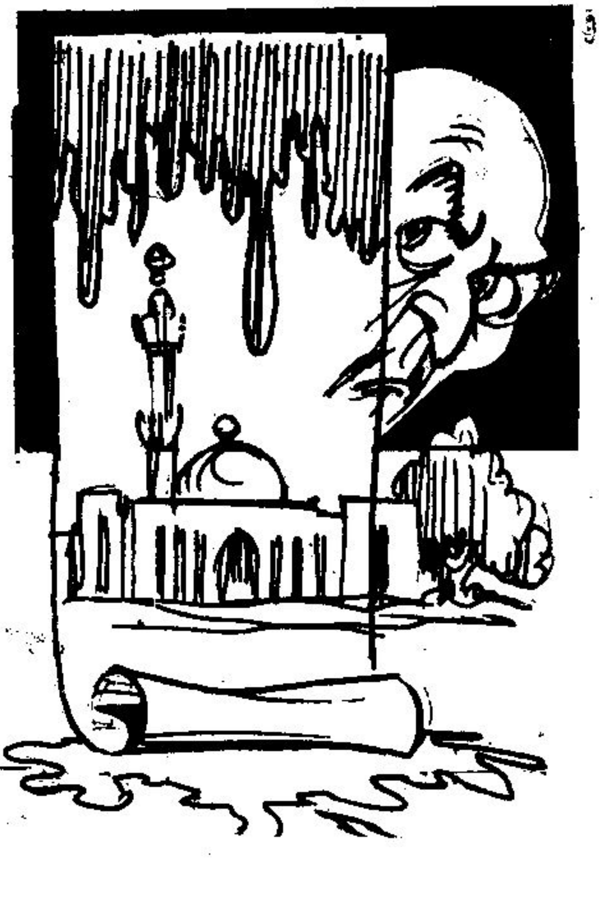

وهكذا أصبحت القضية حالة صراع عرقي بين عرب معتدين وأفارقة أو سود ضحايا ، وتحول الوضع إلى عدوان من الشمال ضد الجنوب وإلى هجمة إسلامية ضد أماكن مسيحية رغم أن الجميع يعلم أن سكان دارفور كلهم مسلمون .. وهنا انفتح الباب لتبرير التدخل الاستعماري والكنسي الغربي بحجة أن هذا استمرار لما كان يحدث في جنوب السودان من مساعدة غربية مشروعة لأجل الجنوب السوداني .

وبدأت نفس آلية أحداث الجنوب تتكرر في دارفور ولكن مع اختلافات مهمة. فلأنه لا توجد حركات مسلحة في دارفور قادرة على التفوق على قوات الحكومة السودانية واحتلال الأراضي وإنهاء الصراع بشكل حاسم أو شبه حاسم كما حدث في الجنوب السوداني .. كان لابد أن يحدث تدخل عسكري غربي تحت ستار ما أسمي بقوات الاتحاد الأفريقي في البداية ثم تحت ستار قوات حفظ سلام دولية وأخيراً تحت ستار واه هو إرسال قوات من بلدان يفترض أنها عربية وأفريقية لكنها تابعة للغرب وتعتبر من أدوات سياساته. وبصورة تدريجية اختفى البُعد الإنساني الذي كان زاعقاً في السياسة والإعلام الغربي من الصورة ليحل التركيز على هذا التصور الجديد بقضية درافور وعلى ترتيب كيفية التدخل السياسي والعسكري وترتيب كيفية إسقاط أي وجود للحكومة السودانية في ذلك الإقليم تمهيداً لفصله رسميا عن الكيان السوداني كما حدث بالنسبة للجنوب .

وفي ظل هذا التصور الراهن اتضح للجميع أن قضية دارفور بالنسبة للغرب ليست قضية إنسانية أو قضية حفظ سلام لكنها قضية استمرار لسياسة تمزيق الكيان السوداني بأية طريقة تحت مزاعم لا يهتم الغربيون كثيراً بإظهار المصداقية عليها أو حتى تنويعها.

وهنا بدأ التفكير الذي كان يجري في الماضي على استحياء، يظهر إلى العلن في البحث عن سبب إقدام الغرب على هذا التفكيك العلني والمخطط للكيان السوداني. وسرعان ما قاد هذا التفكير إلى البحث في أبعاد السياسة الغربية، ولاسيما الأمريكية في منطقة القرن الأفريقي والشرق والوسط الأفريقي عامة، بل وإلى أبعد من ذلك إلى السياسة الغربية في البحر الأحمر ووادي النيل وعلى الحدود الفاصلة بين الشمال والوسط الأفريقي وخطوط الانفصال والاتصال بينهما .. في إطار هذا التفكير يتضح أن تمزيق السودان يقترن بقيام أمريكا بتحويل إثيوبيا (التي يقولون عنها إنها ذات أغلبية مسيحية) إلى دولة إقليمية تعمل كأداة للسياسة الغربية كما تجلى في تدخلها العسكري في الصومال ونزاعها مع إريتريا في محاولة للقضاء عليها والوصول إلى سواحل البحر الأحمر مرة ثانية ثم في علاقاتها المتصاعدة مع إسرائيل والتحركات التي تقوم بها في إطار الاستيلاء على المزيد من مياه نهر النيل والتنسيق مع إسرائيل في هذا الصدد وصولاً إلى ابتزاز وتهديد وتحجيم مصر تعاونا مع دول أخرى يصفها الغرب كذلك بالمسيحية مثل غينيا وأوغندا .

ومع تشكل هذه الكتلة الجديدة في شرق أفريقيا والحديث الملح عن هويتها المسيحية يحدث بتزامن تفكيك السودان الواضح أنه موجة ضد الهوية العامة الإسلامية العربية لذلك البلد مع التركيز على الإسلامية بالطبع. إذن تتضح خطوط استراتيجية عامة في تقوية وتكتيل لوضع لا يخجل الغرب العلماني من وصفه بالمسيحي الهوية في مواجهة تمزيق لتكتل آخر يصفه الغرب بالإسلامي وهو كتلة وادي النيل ووحدة مصر والسودان التي تتعرض للضرب والتفكيك منذ ما يزيد على النصف قرن .. ولعله مما يلفت النظر في هذا الصدد أنه حدث تقارب بدا غريبا في الفترة الأخيرة بين الكنيسة الأرثوذكسية في مصر والكنيسة القبطية الأرثوذكسية في أثيوبيا، والتي كانت قد انفصلت عن الأولى تنظيميا وفكريا منذ ما يزيد عن النصف قرن .

يبدو أن هذا التقارب الحميم الجديد هو محاولة ذات اتجاهين أولهما هو المساعدة في توضيح أبعاد التكتل المسيحي الجديد في شرق أفريقيا والتركيز على هويته والثاني هو المساعدة على تفكيك تكتل وادي النيل المسلم بجذب قوة من أحد أطرافه (وهو الطرف المصري) إلى التكتل الصاعد المدعوم من الغرب لإضفاء قوة وهيبة عليها تساعدها في المواجهة مع الجسد المسلم للوطن المصري وهي المواجهة الدائرة منذ ثلاثة عقود وأدت إلى

نتائج سلبية على تماسك ووحدة هذا الجسد، بل ووصلت إلى حد تهديد أوضاع الإسلام فيه وصب العنف والاضطهاد على الحركات الإسلامية والتضييق على أوضاع الإسلام بحجة حماية الوحدة الوطنية ومنع الصراع الطائفي .

الموقع الحقيقي إذن للاهتمام الغربي الذي انكشف لا يجد مكانه في كونها قضية إنسانية أو حتى قضية نزاع مسلح على خطوط عرقية أو سياسية أو دينية أو اقتصادية كتلك النزاعات التي اعتاد الغرب على استخدامها كمبررات للتدخل السياسي والعسكري في شئون دول العالم من آسيا إلى أفريقيا إلى أوروبا الشرقية إنما الوضع الحقيقي لهذا التركيز متعدد الأبعاد على قضية دارفور يعود إلى أنها حلقة في عملية أوسع تجري ليس في السودان وحده وإنما في سائر المنطقة حوله. وهذه العملية هي العملية القديمة والمتجددة والموروثة من عهود الاستعمار القديم في القارة الأفريقية سواء أكان إنجليزياً أم فرنسياً وإن أدخل عليها الاحتلال الأمريكي أبعاداً أوسع تتسم بالشمولية وربطها مع اتجاهات السياسة الغربية في الشرق الأوسط كله وربما في كل دول العالم الإسلامي .

إنها عملية فصل ما يوصف بأنه الشمال الأفريقي العربي المسلم عن الجنوب الأفريقي والوسط الأفريقي الذي لا تمل الدعاية والسياسة الغربية عن وصفه بالزنجي المسيحي .. وفي إطار هذا التوصيف الاستعماري القديم والمهترئ بسبب مخالفاته المناقضة للواقع والتاريخ يتحول تاريخ القارة بأسره إلى عملية هجوم استعماري بربري من جانب المسلمين والزحف والتغلغل من الشمال إلى الجنوب لاستعباد أهل القارة .

وفي هذا الإطار أو في ظل هذا التصور يصبح دور الغرب هو دور المخلّص والمساعد للأفارقة ضد الاستعمار والاحتلال الإسلامي المربوط بالعرب .. وفي هذا التصور كذلك ينسى أي دور أو أفعال للاستعمار الأوروبي بما في ذلك العبودية التي تصبح جريمة المسلمين العرب وحدهم. هنا تأخذ قضية دارفور مكانها الطبيعي ليس فقط إلى جانب القضايا المجاورة والقريبة في جنوب السودان وكردفان والضربة الإثيوبية للصومال المسلم (وقبلها منذ ما يقارب النصف قرن الضربة الصليبية التنزانية (زنزبار) بل إلى جانب قضايا أخرى قريبة وبعيدة، مثل قضية محاولات تفكيك نيجيريا والكاميرون على المحور الشمالي المسلم ضد الجنوبي المسيحي وقضايا إشعال الصراع بين المسلمين والأفارقة الأخرى على خط ما يعتبره الغرب جبهة الحرب عند مناطق التقاء الصحراء الكبرى مع مناطق المدار في بلدان أفريقيا الغربية. هنا تتخذ أهمية قضية دارفور بالنسبة

للغرب وهي ليست أهمية ذاتية وإنما أهمية ترجع إلى سياق أوسع قديم ومتجدد .

والجديد الذي أدخله الأمريكان على هذا السياق لقضية دارفور بجانب إعادة التأكيد على وضعها كإحدى نقاط المواجهة والصراع مع الإسلام في القارة الأفريقية هو تحويل هذه القضية من نقطة دفاع إلى نقطة هجوم حيث تحوّل نموذج دارفور إلى طرح نموذجي أو متقدم لنمط من التفكيك على أسس دينية وعرقية وجغرافية يجري تعميمه الآن وتجريبه ليس فقط من دول طرفية، مثل السودان، ولكن في دول القلب الإسلامي مثلما يحدث أو يخطط له في العراق ومصر والسعودية والمغرب والجزائر وباكستان ولبنان وسوريا وإندونيسيا إن قضية دارفور كنمط ونموذج تحولت من خط الدفاع على المحور الشمالي الجنوبي الأفريقي إلى نقطة هجوم على القلب العربي المسلم ذاته وربما كان من الإشارات الكاشفة في هذا الصدد إدخال العديد من الدول العربية على خط هذه القضية تحت شعار الوساطة (مثل مصر وليبيا) لإشراكها في تنفيذ المخطط الانفصالي الغربي واتخاذ ذلك سابقة تسجل

عندما يحين الوقت لتنفيذ المخطط أو النمط ذاته في نفس تلك البلدان أو سائر بلدان القلب العربي المسلم .

الجديد الأمريكي إذن في معالجة قضية دارفور هو توسيع السياق ونقل المسألة برمتها في المنظور الاستراتيجي من الدفاع إلى الهجوم .. أما الجديد الذي أدخله الغرب الأوروبي فهو في اتخاذ تلك القضية كمبرر لتفعيل مخططه الخاص بفصل الشمال العربي الأفريقي في الاتجاه الآخر أي بجذب هذا الشمال إلى أوروبا والجنوب الأوروبي في سياق طرحها من أفكار المتوسطية والشراكة وغيرها. والكيفية التي يتم بها هذا هي دخول دول أوروبية كأطراف في المسألة الدارفورية بشراكة مع أطراف عربية متوسطية للإيحاء بأن الفريقين معا ينطلقان من منطلق واحد أو على الأقل من موقع واحد هو أنهما يمثلان وحدة من الاهتمام تقع خارج نطاق مشكلة دارفور مما يعني أن الطرف العربي المتوسطي الداخل في تلك الوساطات والأنشطة والمساهمات العسكرية (هو مصر) لا يفعل ذلك من موقع هوية العربية الإسلامية، بل من موقع انتماء عولمي متوسطي أوروبي لا علاقة له بقضية دارفور على خلفيات الانتماء العربي أو الإسلامي وإنما على خلفية ذلك الانتماء المحايد الذي يشده إلى الغرب وأوروبا (تحت مسمى المجتمع الدولي) أكثر مما يشده إلى أية قضايا عربية أو إسلامية .

تلك فقط الأبعاد الكبرى لقضية دارفور.

د. محمد يحيى

مغامرات غيور

د . أيمن منصور

تخصيب الإيمان .. المحظور

اقرأ لأي واحد علماني - عتويل أو عتل - جعيص .. أو جهبذ - من الذين ترقص بين أصابعهم الحروف - ويسحرون الناس بموسيقى العبارات أو حتى من تعلموا الكتابة في معسكرات أمناء الشرطة وتخصصوا في كتابة البلاغات الصحفية ...

في المواضيع العادية .. (آه) الكلام الحلو .. رقة وعذوبة .. أما عن الإسلاميين .. (ياحفيظ) .. لن تجد سوى اللف والدوران حول محور واحد .. وموضوع واحد ومهما تنوعت العناوين والمانشتات .. وتلونت الصفحات وزينوها بصورة الوجوه الكالحة وكل فنون الإخراج فإن الكتابة تعكس مدى الحريق المشتعل في قلوبهم .. والقيء الذي يطفح من عقولهم.. عبارات من فوهة بركان على أوراق الكتابة تكاد تحرقها ...

غل .. يفقد العقل اتزانه ..

حقد .. يضيع معه العقل ..

رغبة هوجاء .. مدرة .. غرضها دفن الحقيقية .. وإطفاء نور الله بأفواههم ..

ما هو هذا الموضوع الذي يلفون ويدورون حوله ؟؟..

إنه .. إيمان المسلمين ..

لو كان من الممكن رصد مكان الايمان بالليزر ... أو الأشعة المقطعية أو بالأقمار الصناعية .. لكانوا دمروه بقنبلة ذكية أو غبية ولما كان هناك أي مشكلة .. ولكان الخواجة بوش، وسولانا - من زمن - قد حققوا السادة بالشرق الأوسط الكبير أو الدليل ولكان خصيانهم وأغواتهم من العلمانيين أكثر أمل في ممارسة ضلالهم وتضليلهم .

الكلاوي معروف مكانها ... الفشة والطحال والبنكرياس محددة داخل الجسم البشري .. يستطيع أي جراح بضربة مشرط أن يستأصل المصران الأعور .. أو يفقع المرارة .. ولكن أين يوجد الضمير والوجدان، والايمان ؟؟؟؟

لا يمكن نسف الإيمان بلغم ... و لايمكن خلع الإيمان بكماشة .. ويستحيل نزع الإيمان بوسائل التعذيب وإهانة الجسد ... مهما بلغت

من الإجرام ... قد يسمعون الأفواه تنطق بالكفر، وقد يحصلون على مظاهر من المسايرة إلى حين، ولكن الإيمان الراسخ يظل مستقرا لا يهتز ولا يتزحزح إلا بأمر مقلب القلوب والأبصار..

ولا يخرج الإيمان إلا بعكس الطريقة التي دخل بها .. وهي طريقة لا يعلم سرها إلا الله .. وهي .. الهداية ..

والوسيلة إليها هي البلاغ .. و... البلاغ بلا سطرة .. في وضع كامل من الحرية، والمشيئة (من شاء اختار سكة السلامة .. والإيمان .. ومن شاء اختار سكة الندامة والصياعة والضلال ...

مع الحيرة ... والفشل .... والعجز ... عن تفكيك البنية الإيمانية ... ولأنهم لا يستطيعون التوقف بعد أن ذهبوا بعيداً بعيدا .. وأصبحوا لا يملكون قرار التراجع أو المراجعة, فلم يعد مفتوحاً أمامهم سوى أبواب الغيظ التي تطفح مرارة ... كتابات تمتلئ قيحاً وصديدا .. وندوات، وحوارؤات هستيرية في (الغرز) الإعلامية ...

والمحور الذي يدورون حوله هو مسمار الإيمان الذي دقوه في حائط الوطن وعلقوا عليه كل أسباب فشل التنمية .. والعجز الاقتصادي .. والانحطاط في المعيشة .. والانهيار الذي أصاب البنية التحتية للمجتمع ... لأنه ـ في يقينهم من كثر ما كرروه صدقوه على طريقة جحا ـ فأصبح أمرأمستقرا لا نقاش فيه (لا ينتطح فيه عنزان ولا يختلف عليه حماران) وهو أن الذي هدم الوطن .. والمواطن... ليس إلا الإيمان .. وأن أس البلاء .. هي تلك الذاكرة التي شكلها ولا تريد أن تنسي فلسطين والعراق، وغيرها من بلاد المسلمين المنكوبة .. ومصيبة الثوابت التي تضعنا في مركزالدائرة الجهنمية التي أحاطت بنا وتمنعنا من الانعتاق ونخرج منها كما خرجت بلاد آسيا التي أصبحت تصدر بالمليارات.. فهم يأكلون الكلاب ولا يسألون إن كانت مذبوحة على انشريعة الإسلامية أم لا ...!!!

الغالبية من العلمانيين يريدون إنساناً هلاميا مثل حلوى الجيلي يتشكل بحسب الطبق الموضوع فيه .. إنسان صفحة بيضاء يمكن كتابة أي شئ فيها .. هويته الحقيقية هي مصلحته ... ودوافعه ـ الوحيدة ـ بلا مزاحمة ـ في الحياة هي المنفعة ... العقيدة .. كلكوعة نفسية .. والايدولوجيا كلام زمان .. العالم داس عليه في تقدمه .. أما الأصولية فهي وباء مثل أنفلونزا الطيور لا حل له إلا بالإبادة ..

الإيمان بالغيب .. هو الغياب .. التزويغ من الواقع .. الانفصال عن العالم خوفا من التشبه بالفساق والكفرة .. غياب العقل ورفعه من الخدمة .. العيش في أحلام اليقظة، واجترار الآمال والأماني .. ورفض التخطيط لأنه يتعارض مع القضاء والقدر .. علوم السياسة وأدواتها من المنكرات الواجب نبذها ولو بالقلب الذي هو أضعف الإيمان .. الايمان بالغيب يحول المسلم إلى إنسان مستسلم راضي بحاضره وبالمقسوم المكتوب على

الجبين.. مكبل عاجز عن التوقع والاختيار بين البدائل والاحتمالات ... لأن المستقبل كله غيب .. والغيب في علم الله ...

الإخوان المسلمون ما هم إلا إفراز ونتاج لهذه العقلية الجمعية التي رضعت وتربت في بيئة الغيبيات .. وغيوم النصر الموعود ... وهلاوس التمكين في الأرض .. وسراب تحرير فلسطين من النهر إلى البحر ... و،، وعودة الأقصى استنادا إلى نصوص غيبية .. متناسين حقائق الصراع أو موازين وحسابات القوى ووقائع الاقتصاد, وأرقامه .. العولمة ومفرمة السوق بآلياته .. الفجوة الحضارية وأهوالها .. وأين البرنامج .. هه .. هل ستواجهون الدنيا بكلام هام عايم بشعار الإسلام هو الحل وهي عبارة تضحكون بها على الذقون ... فلا حل ولا ربط إلا بالتخلص من هذه المعتقدات التي تكلبش تقدمنا وكلما تقدمنا خطوات تعيدنا مرة أخرى إلى الخلف .. ولا طريق إلا بالتعامل مع حقائق العصر في ظلم موازين القوى ... والسيطرة الاقتصادية .. والعولمة وسوقها .. والفجوة التكنولوجية .. فهمونا .. قولوا لنا ... كيف سيحل الإسلام كل ما تعقد وتلعبك وتشنكل من عشوائياتنا التي أصبحت أكثر تشابكامن بيت جحا...

كلام كبير .. لا يصلح معه الرد المكرر عن صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان .. ولا المنطق الإسلامي عن نبذ التواكل والأخذ بالأسباب... ولا كيف كان يخطط ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهجرته وغزواته... وفي الأيام الأولى لنشر الدعوة...ولو أرادو الحقيقة.. ولو أزالوا الران والصدأ من عقولهم وقلوبهم, وحكموا العقل والمنطق ـ بنفس المعايير التي ينادون بها ويرفضون استخدامها في دراسة معطيات الإسلام السياسي في ازدواجية للمعايير مفضوحة ـ ولو فعلوا بتجرد (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى .. ثم تتفكروا..) لاتضح لهم

البناء الإسلامي عملاقاً متيناً (قيما)، . ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون)، (ياغلام ... ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق)... التاريخ البشري زاخر بعظماء الرجال الذين جمعوا الناس على أهداف محددة .. إلا إنها جميعا ذات مكاسب دنيوية ومحكومة بقوم أو زمن عابر.... أما هو ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو الوحيد من دون البشر الذي بعث للناس كافة برسالة أساسها الزهد في الدنيا.. يعيشون فيها بنظام أخلاقي يبدعون ويعمرون ويسعون فيها متفكرين متأملين بألبابهم وعقولهم لكل ما هو مسخر لخدمتهم... كل ما فيها حلال باستثناء البغي والعدوان وما يؤدي إلي الإخلال بتماسك المجتمع وحق كل فرد في الحرية والاختيار.. وباختصار يعيشون في الدنيا ولا تعيش فيهم ... هل استطاع أحد

من البشر - غيره صلى الله عليه وسلم - أن يجمع الناس - في إعجاز - على اعتبار الدنيا ممر وعبور - ترانزيت - لا على مطمع ولا سببوه ولا عصبيات .. مبادئ ظل المسلمون يأخذون منها ويتركون على مدار القرون الماضية, وبقدر ما كان تمسكهم كان أمنهم وسلامتهم وصلاح أحوالهم ... وبقدر انفلاتهم كان تردي أوضاعهم وانحطاطهم.. إلا أن مبادئ الدين ظلت في كل الاحوال مستقرة في القلوب تمثل أملا دائما في اكتمالها والعودة إلى صفاء عهد الراشدين الأول ....

ما علينا ...

بلاش أمثله من الماضي .. وخلينا في الحاضر وخيبته...

ونبدأ بنقابة المهندسين ...

النقابة التي اختطفتها الدولة البوليسية وسلمتها للحراسة منذ حوالي ثلاثة عشر عاما ... والسبب هو أن الإخوان المهندسين (المنتجين) حولوها من نقابة خامدة منسية إلى نقابة تمتلئ نشاطا وحيوية في خدمة أعضائها ضاربة المثل لما يجب أن تكون عليه مؤسسات المجتمع المدني (وهو بالمناسبة المجتمع الذي ينادي بوجوده العلمانيون ويشيعون بأن الإخوان يحاربونه) ... ولأن العقلية البوليسية المتحكمة لا تستطيع المواجهة في انتخابات حرة فقد لجأت إلى ما تجيده ... قانون تفصيل يجعل من الانتخابات أمرا مستحيلا... يعني العصابة في العجلة, وإغلاق أي باب لمشاركة الشعب في خدمة أطياف وحتى لا يتطور لأمر إلى ما هوأسوأ فيطالبهم الشعب بالجلاء..

مثل تاني عن الزلزال ... منذ حوالي عشرين عاما عندماتهاوت بيوت الغلابة المبنية بالأسمنت المغشوش وحديد الخردة في عصر الانفتاح, والسداح مداح... خرج الناس هائمين في الشوارع مذهولين من أول كارثة جماعية يواجهونها ... وكان أول من ثاب إلى العمل الجماعي هم أهل النخوة والنجدة من الإخوان المدربين على الخدمة والإيثار مطبوعين بأخلاق المؤمنين(كانوا يسارعون في الخيرات)... وظلوا في سبيلهم يداوون الجرحى ويأوون المشردين ويمدونهم بالغذاء والكساء والإيواء حتى نبه كاتب حاقد أحمق يسأل عن الدولة الغائبة عن المشهد والتي مكنت الإخوان من (استغلال) معاناة الناس..!!!

الدولة الفاشلة لجأت إلى الأمر العسكري الذي يجرم تقديم أي دعم إلا من خلالها وهو منطق من لا يملك إلا كرسي يقذفه في الكلوب... و ... (فيها أو أخفيها)...!!

مثال آخر... مشكلة توظيف الأموال ...

في بداية فترة السداح مداح، والصعود المفاجئ لأسعار البترول... انهالت الدولاراتمن العاملين في الخارج في وقت كانت فيه بنوك الدولة غارقة في العسل نوما وتشخيرا. ولأن سنوات الفقر الطويلة ضربت على آذانها مثل أهل الكهف فقد وقفت . عاجزة عن إدراك النعمة التي هبطت عليها وضرورة فتح مجالات لاستثمارها وتوظيفها.. فكان أن هرب الناس إلى من يثقون فيه، ويوفيهم عائدا لمدخراتهم... كان فيهم من مارس

النصب ... أي نعم.. وعدد كبير .. أي نعم .. ولكن أيضا كان فيهم من حاول أن يبني قاعدة صناعية... وفيهم من كان يخشى الله في أموال الناس .. فهل أخطأ الناس عندما وجدوا بنوكا متخلفة تصرف النقود بورقة يراجعها عشرات الموظفين ولو اقتضى الأمر لأرسلوها إلى الطب الشرعي لتأكد من عدم تزوير التوقيع ... وبدلا من أن تقوم الدولة بعملية سد الثغرات في هذا النشاط الوليد وتعزيزه كنشاط موازي للبنوك يحقق رواجا وتداولا إلى أن يتم إصلاح أحوال البنوك و(تصحيح) وتدخل في منافسة لجذب الأموال ـ حسب النظريات الليبرالية العلمانية التي تعظم من آلية التنافس ـ وبدلا من أن تسير في الطريق الطبيعي لحل أي مشكلة وهو معالجة أسبابها من جذورها ـ لجأت لما لا تجيد سواه وهو اليد الطرشة والعصا الغليظة. وكانت مأساة امتدت سنين ضاعت فيها ثروات وانكشفت فيها أسر.. ومرة أخرى يسود منطق العاطل في الباطل, والعقاب الجماعي... وربما كانت للشراسة لا يقوم على الربا.. وهو سبب لو لم يوجد سواه لكان كافيا في حرق البر كله .. المثل الأخير ... وهو المثل الجامع الشامل الكاشف لكل ألوان الفشل والخيبة العظمى... وهو الأحدث ....

وهو محاكمة (الأربعين شاطرا) أمام القضاء العسكري ... والتهمة أنهم رجال أعمال ناجحون، و (أخرجوهم من قريتكم ... إنهم أناس يتطهرون) وأنهم يمتلكون المليارات ... وظفوا أموالهم وفق المعايير الإسلامية ـ في جو معفن فاسد مضاد ـ ضاربين مثلا لا يصد ولا يرد بأن العمل هو الذي يثبت صدق النوايا، وأن المبادئ تحولها عزيمة الرجال إلى واقع يراه كل من يستخدم عينيه للإبصار... العمل ـ وحده ـ لا العبارات المنمقة التي لا يقرأها سوى عواجيز الفرح من النخبة... العمل الاقتصادي الإسلامي العصري هو القادر على الصمود والنمو بل وقيادة خطوات الإصلاح ... العمل وليس هو البرنامج...

أليس في هذا اعتراف ـ ولو لم يكن مقصودا ـ بأن الإخوان ليسوا في صورة التخلف الذين فشلوا في إلصاقها بهم طوال السنين الماضية .. أو أنهم ـ على الأقل عقلا ومنطقا ـ مثلهم مثل خلق الله لهم الحق في خوض تجربة إصلاح البلد ... وأنهم جديرون بإعطائهم الفرصة ليس من موقع السلطة ـ التي يخافون من فقدها (خليها لهم ... وخليهم قاعدين على تلها) ولكن من خلال حركتهم بين الناس ... وهو اختبار حقيقي لبرنامج الإخوان ... لتجنب التجربة عن السؤال المطروح بقوة بين الناس... هل الإسلام هو الحل أم لا؟؟؟؟

على مبدأ يانحلة لا أريد عسلك ولا تقرصيني... فليمسكوا هم بالحكم ويكلبشوا فيه.. ويتركوا الإخوان يقومون بنشاطات

خدمية، واقتصادية... وغيرها.. طبعا هذا اقتراح تلامذه استعباطي (مصحوبا بأمنية أن يحسبها واحد من المتمرسين في الحسابات الغلط ويوافق على اعتبار أن الإخوان سيفشلون بالتأكيد وتبقي فرصة ونخلص منهم ومن صداع تطبيق الشريعة قال شريعة قال) !! ولكن تجربة فتح وحماس لازالت ماثلة، ولازالت تجرى في غير مصلحة الأغبياء الذين صوروها لعبة انتخابية لجر رجل حماس إلى مستنقع المفاوضات... ولو كانت الحكاية محصورة في مدى استلطاف دم الإخوان أو في نطاق السياسة وصراعاتها من أجل تبادل الحكم كما في النظم الديمقراطية التي نسمع عنها... لكان التعامل أخذ شكلا آخر غير شكل الرغبة في إبادتهم واستئصال شأفتهم ولكن المشكلة تكمن فيما يمثله الإخوان ... المشكلة في الإسلام نفسه وآلياته، وديناميكية في تجديد دماء المسلمين وإحياء عزهم، واسترداد حقوقهم المغتصبة من قوى البغي في الخارج ... ووكلائهم في الداخل ... لذا لا أمان مع الإخوان ....

لا أريد أن فتح دمل تاريخ الغرب القديم مع المسلمين .. ولا ما يفعلونه حاليا في العراق، ودعمهم اللامحدود للصهاينة ... بلاش سيرة الدم والهدم وانتهاك الأعراض .... وإنما أذكر ما فعلوه مع بنك التقوى ... وهو بنك نشأ ليتعامل مع العالم طبقا للمعايير المصرفية المعروفة باستثناء الربا، وهي جرأة واقتحام لسوق ظلت خاضعة لسيطرة النظم الربوية يحكمها اليهود والمتحالفين معهم بلا بديل أو منافس مئات السنين ... وزاد الأمور تعقيدا أن مقر البنك في عقر دارهم... والأدهى أن صاحبه من الإخوان ...

قبل بوش ... وقبل إعلان من لم يكن معنا فهو علينا، وقبل نظريات الحرب الإستباقية، وتجفيف المنابع ... قبل ذلك كله كانت المخابرات الإسرائيلية والأمريكية يتابعون نجاحاته الواعدة والمهددة ... يرصدون ويجمعون الوثائق ليوم الحساب الذي لا يشكون أبدا في مجيئه أو اختراعه...!!!

وقد كان ....

والمناسبة هي الانقلاب الذي قاده المحافظون الصهاينة واختطفاهم للقرار الأمريكي... شهور طويلة وهم يحققون مع الرجل الصابر الأخ يوسف ندا دون أن يثبتوا عليه أي صلة له بما يسمونه إرهاب.. ورغم ذلك صادروا البنك ـ وحددوا إقامة الرجل ... في بلاد الحرية والديمقراضية...

الرجل معه جنسية أوربية... ولكنه في الأصل مصري .. ومن الإسكندرية ...

ولأن مصر أولى بأبنائها ولا يجب أن ينفرد بهم الأمريكان أو اليهود... فقد حكمت عليه المحكمة العسكرية المصرية بعشر سنوات سجن.

هل هناك تفسير آخر سوى أنهم يخافون أن يكون في شعار الإسلام هو الحل .... حل وسطهم .... ؟؟؟

د. أيمن منصور

عبقرية الحضارة الإسلامية (٢)

البلقان تحت الحكم العثمانى

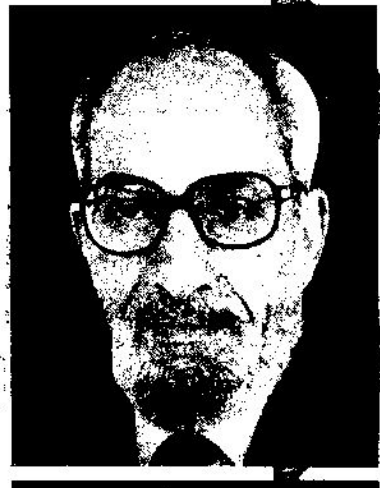

محمد يوسف عدس
مستشار سابق بهيئة اليونسكو

يحلو لبعض الكتاب والمؤرخين، وخصوصاً الصرب منهم، أن يثيروا حول مسلك الدولة العثمانية وحكمها في البلقان اتهامات أبعد ما تكون عن الصحة، من هذه الاتهامات:

١- أن العثمانيين فرضوا على الشعوب نظاماً أجنبياً غريباً.
٢- وأنهم قمعوا الهوية القومية لهذه الشعوب.
٣- وأنهم جلبوا استيطاناً تركياً كثيفاً في هذه البلاد.
٤- وأنهم حوّلوا الفلاحين إلى عبيد.
٥- وأنهم فرضوا على المسيحيين قانون الشريعة الإسلامية.
٦- وفرضوا عليهم الإسلام بالقوة.
٧- وأدخلوا في قانون العقوبات ممارسة بربرية كبتر الأطراف وأعضاء الجسم الأخرى.

والحقيقة أن الدولة العثمانية لم تفرض نظاماً أجنبياً كما يزعمون، وإنما على عكس من ذلك تماماً فقد حافظت على كثير من قواعد الحياة الإدارية والاجتماعية التي كانت سائدة في البلاد المسيحية، وطورت بعضها إلى الأفضل بما يخدم مصالح الشعوب.

ولا يغيب عن الذهن أننا نتحدث عن العصور الوسطى، حيث كانت دول أوروبا وشعوبها غارقة في التخلف والجهل وتعاني من الفساد والاستبداد، بينما كانت الدولة العثمانية هي الدولة الوحيدة الناشئة المتقدمة المستنيرة والعادلة أيضاً ..

والكلام عن قمع الهويّات القومية في ذلك الوقت كلام لا معنى له ؛ ذلك لأن الفكرة القومية أو الهوية القومية لم تظهر (على الأخص في منطقة البلقان) إلا خلال القرن التاسع عشر .. ولكن الأتراك العثمانيين كانوا في موقع السيطرة على البلقان في منتصف القرن الخامس عشر، يعني قبل ظهور القوميات بأربعة قرون على الأقل .

أما حكاية تحويل الفلاحين إلى عبيد فتلك فرية أخرى لا نصيب لها من الحقيقة، والأمر ببساطة أن الفلاحين في أوروبا كلها لم يكونوا أحراراً تحت سيطرة الإقطاع الجائر، ولم يتحولوا إلى عبيد على يد العثمانيين، بل اكتسبوا في ظل الحكم العثماني حقوقاً لم يحلموا بها من قبل، وكانوا يعاملون معاملة إنسانية أفضل بكثير من قرنائهم تحت نير الإقطاع الأوروبي .

ذكر المؤرخون المنصفون أمثال "توماس أرنولد" أن الفلاحين الذين عانوا طويلاً استبداد الإقطاعيين في المجر مثلاً كانوا يحرقون أكواخهم ويأخذون نساءهم وأطفالهم وأدواتهم الزراعية، ويفرون إلى المناطق التي كان يسيطر عليها العثمانيون المسلمون؛ ليجدوا فيها حياة أفضل ومعاملة أرحم من معاملة الإقطاعيين المسيحيين .

موضوع فرض الدين الإسلامي على المسيحيين كثر فيه كلام الأدعياء وخرج من إطار الحقيقة والموضوعية إلى مجال الكذب، وسوء تفسير الوقائع والأحداث وإثارة الشبهات. كذلك موضوع فرض الشريعة الإسلامية وقوانينها على المسيحيين .. كل هذا الكلام أقل ما يقال فيه أنه زعم باطل ؛ ذلك لأن النظام القانوني للعثمانيين كان نظاماً مركّباً، ولم تكن الأحكام الشرعية فيه إلا عنصراً واحداً من عناصره العديدة، وأوضح دليل على ذلك قانون السلطان سليمان .

ولم تكن الدولة العثمانية من التخلف والغباء لكي تفرض أحكام الشريعة الإسلامية على غير المسلمين، وهم لا يرغبون فيها ولا يريدونها بل على العكس من ذلك تماماً، فالدولة العثمانية هي التي أنشأت النظام المِلّيّ الذي ترك مسألة القضاء والأحكام في يد رؤساء الكنائس يتصرفون فيه بحرية دون تدخل من الدولة.

والذي يتعمق في فهم الخصائص الأساسية للدولة العثمانية سوف يرى أنها لم تكن تتمحور حول الدين بقدر ما كانت تدور حول القوة العسكرية وردع القوى الأجنبية المعادية، على هذا الأساس قامت دولتهم المبكرة في الأناضول، وإذا رجعنا بالتحليل إلى الوراء أكثر من ذلك لوجدنا أن هذه السمات عميقة الجذور في مجتمعاتهم القبلية.

وعلى كل حال كان قيام الدولة العثمانية ظاهرة طبيعية وصحية في كيان الأمة الإسلامية التي كانت لا تزال معرّضة لتهديدات الغزو التتري من الشرق، والغزو

الصليبي ضد المسلمين لم يزل حلماً يراود القوى الأوروبية في الغرب.

وتلاحظ في تاريخ الدولة العثمانية من حيث علاقاتها الخارجية نزعتين بارزتين تبدوان لأول وهلة متناقضتين : نزعة توسعية إمبراطورية، ونزعة تسامح بالغة الوضوح، لاشك أنها تأثير إسلامي خالص .

لذلك لم يكن التمايز بين مسلمين ومسيحيين وإنما انقسم الناس إلى فئتين وظيفيّتين: فئة الذين يقاتلون في الحروب، وفئة الذين يدفعون أجور هؤلاء المقاتلين، فأولئك الذين ينتمون إلى الآلة العسكرية للسلطان كانوا يعرفون باسم "العسكر" وهو اسم لطبقة لا ترتبط بالضرورة بوظيفة حربية، وإنما كانت تشمل كل من يمارس وظيفة أو سلطة مفوّضة من السلطان، ولذلك شملت إلى جانب المقاتلين فئات القضاة، وموظفي الدولة بكل درجاتهم، بل ورجال الدين أيضاً. وكان أعضاء هذه الطبقة مُعْفَيْنَ جميعاً من دفع الضرائب، أما فئة دافعي الضرائب فكان يطلق عليهم اسم الرعية .. سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين .

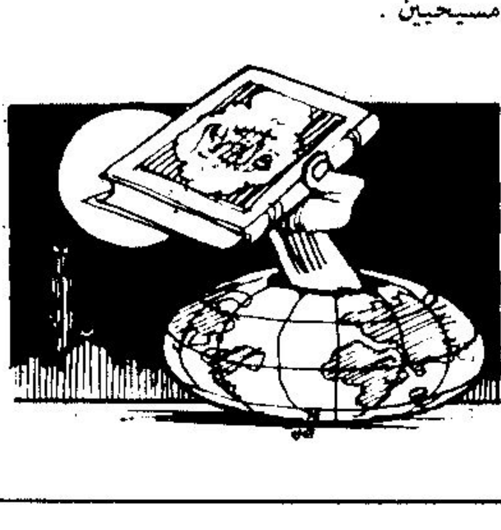

النظام العسكري والإدارة :

كانت القوات المحاربة في الدولة العثمانية تنقسم بدورها إلى مجموعتين :

مجموعة الذين يتلقون مرتبات، ومجموعة الذين كانوا يُمنحون إقطاعيات من الأرض، تشمل المجموعة الأولى القوات البحْرية وبعض فئات من الفرسان .. ومن أبرز هذه الفئة وأكثرها شهرة في التاريخ هم فئة "الإنكشارية" وهؤلاء كانوا يُعتبرون القوات الخاصة للسلطان، وهم عادة من الجنود المأسورين في الحروب ومن الشباب المسيحي الذين كانوا يخضعون لنمط خاص من التنشئة في ما عرف باسم نظام "الدفشرمة" .

تطورت عملية التجنيد خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين حيث كان يطوف ممثلو السلطة في قرى البلقان مرة كل سبع سنوات أو أقل لتجنيد الشباب الصغار تجنيداً إجبارياً، وكان على كل عائلة أن تقدّم عن كل أربعين فرداً فيها واحداً للتجنيد، فكانوا ينقلون إلى الأناضول وإسطنبول ليلتحقوا بالمدارس السلطانية، فتنشّئهم تنشئة إسلامية ويتعلمون اللغة التركية، ويتدربون إما على القتال، وإما على الإدارة والخدمة في الحكومة والقصور السلطانية، وكان هذا هو السبيل للترقي إلى المراتب العليا في الدولة، فكثير من الوزراء العظام وكثير من رجال الديوان السلطاني بدءوا حياتهم بهذه الطريقة .

والذين يتحدثون عن الرقيق وعن قسوة العثمانيين ؛ لأنهم كانوا ينتزعون الصبيان المسيحيين من أحضان أسرهم في قرى البلقان،

لم يحاولوا أن يفهموا هذا النظام، وإنما وصفوه بأنه رقيق .. فهل يصدّق عاقل متزن الفكر أن "الدفشرمة" كانت رقيقاً، بينما رأينا أنها وسيلة للحراك الاجتماعي والترقي في سلم الطبقات الاجتماعية، وكانت طريق أبناء الرعية البسطاء الفقراء، لكي يصبحوا أعضاء في الطبقة العليا الحاكمة في المجتمع ؟؟..

كثير من هؤلاء استعادوا صلتهم بأسرهم المسيحية وبالمناطق التي جاءوا منها، وأسبغوا عليها من خيراتهم الشئ الكثير، ولما تبين لسكان البلقان المسيحيين فائدة الالتحاق بهذا النظام كانوا يطلبون من جيرانهم المسلمين أن يحل أبناؤهم في التجنيد محل أبناء المسلمين.

وقد ظهر في القرن الخامس عشر اثنان من ألبان كوسوفا يشغلان منصب الوزير الأعظم في الدولة العثمانية هما: "جديك أحمد باشا" و "داوود باشا" وبلغ مجموع الوزراء من كوسوفا وألبانيا خلال التاريخ العثماني اثنين وأربعين وزيراً .. فهل يمكن بعد هذا أن يوصف النظام العثماني بأنه كان نظاماً للرقيق ...؟.. وبماذا تسمّى وضع ألبان كوسوفا تحت السيطرة الصربية، التي كانت تحرّم عليهم العمل في الوظائف الحكومية وفي المصانع وهم أبناء البلاد، ويفضّلون عليهم الصرب وهم مستوطنون وافدون ؟! .. ثم يدّعي الصرب بأن كوسوفا جزء من صربيا...! وبماذا نصف مشهد الملايين من الأفريقيين الأحرار الذين كانوا يُصطادون من قراهم كما تُصطاد الحيوانات البرية ثم يساقون إلى السفن مسلسلين في القيود وينقلون عبر المحيط إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ليعيشوا حياة العبودية والفقر والمهانة تحت سياط الرجل الأمريكي المتحضر في العصر الحديث وليس في القرون الوسطى ؟..

لقد كان الأسلوب العثماني هذا طريقاً للحراك الإجتماعي، وقد ترتب عليه أمران مهمان في تغيير المجتمعات البلقانية :

- أولهما : أن الناس بطريقة غير مباشرة بدءوا يفهمون حقيقة الإسلام وتسامحه، ومن ثم أقبلوا عليه وانتشر في مجتمعاتهم .

- وثانيهما : إبراز حقيقة أن الطبقة الحاكمة في البلقان كانت مزيجاً من أبناء الشعوب المحكومة، فإذا كان مصطلح "الأتراك" هو الذي وُصف به العثمانيون عند ظهورهم في البلقان أول الأمر، فإن مصطلح "العثمانيين" هو الذي غلب على الاستخدام بعد ذلك للتعبير عن الانتماء والمشاركة في السلطة، فكان رجال الإدارة والموظفون من أبناء البلقان يطلقون على أنفسهم "عثمانيين" بهذا المعنى .. وقد أخطأ الرحالة والكتّاب الأوروبيون الذين خلطوا في كتاباتهم .. فلم يفهموا أن من كان يقدّم نفسه إليهم بوصفه "عثماني" لا يعني بالضرورة أنه تركي، وإنما من الأهالي المحليين، فقد كانت "العثمانية" أسلوب حياة ونمط حضارة وليست انتماءً قومياً بالنسبة لأبناء البلقان ...

إلى جانب الإنكشارية هناك عنصر آخر من عناصر الطبقة العسكرية يتمثل في الفرسان المعروفين باسم "سباهي"، وهؤلاء كانوا يُمنحون إقطاعات من الأراضي تتفاوت في مساحتها فكان النوع الأشهر منها يسمى "تيمار" والنوع الأكثر شيوعاً كان يُسمى "زعيمت".

كان من أول واجبات "السّباهي" أن يكون مستعداً لتلبية نداء السلطان عندما يستدعيه إلى الحرب، وكان عليه أن يحضر معه المقاتلين مسلحين ومدربين، فإذا فشل أحد "السباهي" في الاستجابة الفورية لنداء السلطان يُجرد من إقطاعيته، وتُنقل إلى "سباهي" آخر فالمالك الأصلي من الناحية القانونية للأرض هو السلطان، ولكن من الناحية العملية كان "التّيمار" يبقى عادة في حوزة "السباهي" ويرثه أبناؤه من بعده شريطة أن يقبلوا تأدية الواجبات العسكرية المتعلقة به، وعلى ذلك فلم يكن "التّيمار" في حقيقته ملكية مطلقة للأرض وإنما ملكية تنصبّ على الانتفاع بريع الأرض ؛ أعني الحصول على نسبة من دخلها يدفعه الفلاحون الذين يزرعونها .

وهنا صميم الاختلاف بين "السباهي" أو (الإقطاعي العثماني)، والإقطاعي الأوروبي الذي يملك الأرض ومن عليها ملكاً مطلقاً، ويتحكم في الأرض، وفي الفلاّح كما يشاء له الهوى .. أما "السباهي" فإلى جانب واجباته العسكرية كانت له وظيفة إدارية أخرى تشتمل على جمع الضرائب فيحتفظ بجزء محدد منها لنفسه، ويرسل الباقي إلى خزانة الدولة .

في المراحل الأولى للتوسع العثماني كان "السباهي" من الفرسان المسلمين الذين يحاربون متطوعين في جيش السلطان، ثم أنعم عليه السلطان بإقطاعيات على هذا النحو الذي ذكرناه من الأراضي المفتوحة، وخاصة الأراضي التي كان يملكها النبلاء الإقطاعيون، ثم تخلّوا عنها وفرّوا هاربين بعد انهزامهم في الحروب أمام العثمانيين.

لم تكن طبقة "السّباهي" مقصورة على المسلمين بل كان هناك عدد كبير من المسيحيين في هذه الطبقة العسكرية، كانوا عادة من ملاك الأراضي الذين لم يشتركوا في مقاومة الجيش العثماني، بل أعلنوا ولاءهم للسلطان، أو من المسيحيين ذوى النفوذ الذين أبْدوا استعدادهم للعمل في خدمة السلطان العثماني.

لم تكن الدولة العثمانية إذنْ تفرق في هذا بين المسلمين والمسيحيين كما يزعم المؤرخون المتحيّزون، ولم تكن هذه الامتيازات مقصورة على طبقة "السباهي" فقط، بل امتدت إلى فئات أخرى من المسيحيين أُعفيت من دفع الضرائب: بعضهم كان منخرطاً في الخدمة العسكرية بالأجر فيما عرف باسم "مارتولوس"، وبعضهم من الفرسان المسيحيين المعروفين باسم "فونيوكس"، وكانوا مسئولين عن حراسة حدود الدولة، وحراسة المناجم والطرق وتأمينها من اللصوص وقُطّاع الطريق، وكانت الطرق الجبلية بصفة خاصة موكولة بحراسة مجموعة من المسيحيين تسمى "ديربند"، ويدخل في هذه الفئات المعفاة من الضرائب الحرفيون صُنّاع الأسلحة والذخيرة لتموين الجيش العثماني، بل كان المشتغلون بتربية صقور الصيد من بين هذه الفئات .

خلال بضعة أجيال تحولت أسر "السّباهي" من المسيحية إلى الإسلام، وبذلك اختفت تقريباً ظاهرة "السباهي" المسيحي من السجلات العثمانية قبل نهاية القرن السادس عشر الميلادي، وإن بقى عدد قليل منهم حتى

القرن السابع عشر، ذكرت سجلات الكنائس أن بعضهم كان ينفق كثيراً من أمواله على بناء كنائس وأديرة في "بليفيا" و"سنجق نوفى بازار" سنة ١٦٥٢م، وبعضهم الآخر أنفق أمواله على ترميم وطلاء البطرياركية الصربية في "بيتش" سنة ١٦٣٣م، ويذكر البطريارك الأرثوذكسي في مذكراته سنة ١٦٤٥م اسم اثنين من كبار المحسنين "السّباهى" يدعى أحدهما "ميلوش" والآخر "إستوكيو"...

أكمل وثيقة في القانون الجنائي العثماني تسمى قانون السلطان "سليمان" الذي عُرف باسم "سليمان القانوني" أو "سليمان العظيم" وربما يرجع تاريخها إلى الفترة بين سنة ١٥٣٤م إلى سنة ١٥٤٥م.

فإذا قارنا بين هذا القانون العثماني وقانون "قيصر دوشان" الصربي لوجدنا أن القوانين العثمانية كانت أكثر إنسانية وأبعد عن روح الطبقية العنصرية التي اتسمت بها القوانين الصربية .. ذلك رغم احتوائها على أحكام تبدو في ظاهرها قاسية : مثل عقوبة الإعدام لقطاع الطرق، ووسم القوادين، ومروّجي الفاحشة، وقطع اليد في جرائم السرقات الكبرى، وكانت عقوبة الغرامة في بعض الجرائم الأخرى يتحمل فيها المسلمون ضعف عقوبة المسيحيين واليهود .

ويذكر "نويل مالكوم" أنه في القضايا بين المسلمين والمسيحيين كان المسلمون يشهدون لصالح المسيحي إذا كان صاحب حق .. وتلك دلالة لا يصح المرور عليها مروراً عابراً؛ لأنها تؤكد أن العدالة كانت حاضرة بقوة في ضمائر الناس بقدر ما كانت متحققة في القضاء،

وهذا ما يدعَمه رأي أساتذة التاريخ الحديث في أوروبا، فهم يعتقدون بناء على ما تجمع لديهم من شواهد خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر أن القضاة العثمانيين كانوا يتمتعون بمستوى عالٍ من الضمير والعدالة، ويوافقون على مقولة المؤرخ الكوسوفى المولد "سيلالزيد صالح شلبى" (١٤٩٩ - ١٥٧٠) في وصفه لفترة حكم السلطان سليمان القانوني: "إن أبواب الظلم والعدوان قد أغلقت بمسامير القانون".

يجب أن يكون واضحًا لنا هنا أننا نتحدث عن منظومة حاكمة لا مزاج فرد أو أفراد .. إننا نتحدّث عن سمات حضارة عبقرية تأبى إلاّ أن تعبّر عن نفسها (حتى فى قلب ما يسمّونه ظلام العصور الوسطى) .. ثمّ قارن

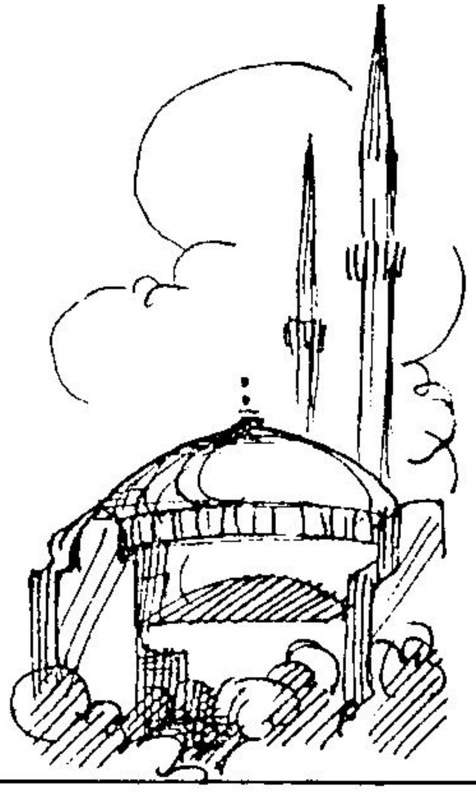

بين هذا الموقف الإنساني وبين العدالة في "جوانتانامو وأبو غريب" ونحن في قلب القرن الواحد والعشرين .. على يد الولايات المتّحدة الأمركية ...

الفلاحون والقانون :

تحسنت أوضاع الفلاحين تحسناً ملحوظاً في ظل الحكم العثماني وأصبح الفلاح الكوسوفيّ يتمتع بمزايا عديدة لم يكن يحلم بها في ظل الإقطاع الصربي: أصبح يملك البيت الذي يسكنه، ويملك إلى جواره حديقة صغيرة لزراعة الخضراوات، وقطعة أرض زراعية صغيرة تسمى "تشفْت" وهي مساحة تسمح بزراعة كل ما يحتاجه الفلاح وأسرته من خضراوات للاستهلاك المنزليّ ...

كانت الضرائب الأساسية التي يؤديها الفلاحون تتمثل في ضرائب على المحاصيل الزراعية لأرض التيمار بنسبة ١٠٪، وعلى الأرض الخاصة بالمسيحيين ضريبة تسمى "إزبنس" والخاصة بالمسلمين باسم ضريبة "رسم تشفت".

وشمل نظام الضرائب أيضاً رسوماً ضريبية على السلع المبيعة في الأسواق (ضرائب تجارية) .. وكان على المسيحيين الذين لا يؤدون الخدمة العسكرية أن يدفعوا ضرائب على الرءوس لا يدفعها إلاّ الرجال القادرون .. ويُعفى منها غير القادرين .. كما يُعْفى منها الأطفال والنساء وكبار السّن ...

لا شك أن تحسناً ملحوظاً طرأ على وضع الفلاح في كوسوفا، فقد تلاشى العمل الإجباري الذي كان مفروضاً على الفلاحين في الإقطاع الصربي، وكان الفلاح مقيداً لا يستطيع مغادرة أرض الإقطاعي، فإذا تمكّن من الهرب وقُبض عليه قطعت أطرافه، أما في العهد العثماني فقد ألغيت هذه العقوبة وتحولت إلى غرامة مالية صغيرة، كانت تسقط بالتقادم، هذا التيسير سمح للفلاحين أن ينتقلوا من الأرض إذا رغب أحدهم في ممارسة الحرف الصناعية في المدن .

ربما كان أهم من كل ذلك أنه لم يكن هناك شئ في القانون الصربي يحمي حقوق الفلاحين ويحدد علاقتهم بمالك الأرض الذي كانت إرادته هي القانون .. أما القانون العثماني فقد حرص على تأكيد حقوق الفلاحين وتحديد العلاقة بينهم وبين أصحاب الإقطاع .. وفي هذا المجال صدر فرمان عثماني سنة ١٥٦٠م يقول : "على منفذي العدالة ألا يتدخلوا في شئون أحد من الرعية أو يرهقوه، دعوه يملك الأرض كما يشاء طوال حياته فإذا توفى دعوا ابنه يمتلك الأرض بعد أبيه" .

يقول المؤرّخ موتافتشيفا : "كانت مجموعة الحقوق والفوائد الجديدة التي تمتع بها الفلاحون أكثر وضوحاً في القرن السادس عشر الميلادي، وكانت معلومة لدى الشعوب في منطقة البلقان، وهذا ما شجع كثيراً من الفلاحين في المناطق التي لم يصل إليها الفتح العثماني على أن يهجروا أراضيهم ويذهبوا إلى المناطق العثمانية ليستقروا فيها".

نواصل إن شاء الله في الحلقات القادمة.

محمد يوسف عدس
مستشار سابق بهيئة اليونسكو
وخبير شئون البلقان – **لندن**

ماذا يريد الأقباط من مصر؟

لا عجب مما نشرته كبريات الصحف الأمريكية من إعلانات موقعا عليها ممن أطلقت على نفسها الجمعيات القبطية فى أمريكا وكندا واستراليا، تحرض الرئيس الأمريكى والإدارة الأمريكية والكونجرس والأمم المتحدة وجمعيات حقوق الإنسان فى العالم، على التدخل العاجل لإنقاذ الأقباط فى مصر من المذابح التى يتعرضون لها على أيدى المسلمين، وأن يطالبوا بوضع مشكلة الأقباط على جدول أعمال مباحثات السلام فى الشرق الأوسط.

بقلم: أشرف شعبان

ولا عجب أن أقام شخص مصرى من نفسه رئيسا للحكومة القبطية فى المنفى، وطالب بإقامة دولة مستقلة للأقباط فى جنوب مصر تسمى الجمهورية القبطية الفرعونية .... (١) ولا عجب من محاولة بعض الأقباط إثارة الفتن وتقليب الرأى العام العالمى على المسلمين فى مصر الإسلامية، فالمطلع على التاريخ يرى أن من الأقباط من لم يتأنوا ولم يتهاونوا، فى ترك أية فرصة، ليظهروا فيها ما يكنونه فى صدورهم تجاه هذا البلد، فمع كل احتلال لبلدنا تظن فئة من الأقباط وإن كانت قلة قليلة، كما يسميها أدعياء الوحدة الوطنية، وإن كانت كذلك فهى قلة قليلة قوية مؤثرة، تظن هذه الفئة أنها قد وجدت ضالتها، وأن الفرصة قد لاحت لها للانقضاض على المسلمين والإسلام الذى طالما احتضنهم ووفر لهم الأمن والأمان .. ففى أثناء الحروب الصليبية أظهر الأقباط قليلا من الحماس للأوربيين حيث راودتهم فكرة التعاون مع الصليبيين لإعادة إحياء دولة مسيحية فى مصر، وأثناء الحملة الفرنسية كان هناك تعاون عسكرى بين الأقباط والغزاة الفرنسيين، والمعروفة باسم حركة الجنرال يعقوب أو الفيلق القبطى، حيث تعاونت مجموعة من شباب الأقباط بقيادة المعلم يعقوب مع الفرنسيين إلى حد أنهم اتخذوا لأنفسهم زيا عسكريا مماثلا للزى العسكرى الفرنسى، كما رحب الأقباط بقدوم البريطانيين إلى مصر عندما ألحقوا هزيمة بالقوات المصرية بقيادة أحمد عرابى فى معركة التل الكبير .... (٢) وفى

بدايات القرن العشرين ومع النشاط السياسى وظهور الأحزاب وانتشار الصحف، بدأت الجرائد القبطية كجريدتى مصر والوطن تبديان ائتلافهما مع الاحتلال الإنجليزى لمصر وللإنجليز، ولم تكتف صحيفة الوطن بإظهار هويتها السياسية الموالية للإنجليز والاحتلال، ومناصرتها لهما، بل هاجمت المسلمين والتاريخ الإسلامى فى صفحاتها .كما تم إنشاء مكتب قبطيا للدعاية والإعلان بلندن، رأسه قرياقس ميخائيل الذى كان مراسلا لصحيفة الوطن بالإسكندرية ثم سافر إلى لندن من أجل الدعوة لما سمى بمطالب القبط، كما هو الحال اليوم .

ومن التهديدات الصريحة بالاستعانة بالقوات الأجنبية ضد مصر وتنفى الولاء الوطنى، عندما وافقت الحكومة على عقد المؤتمر الذى رغب الأقباط فى إقامته يوم ٢٤ فبراير عام ١٩١٠م وتأجل إلى يوم ٦ مارس عام ١٩١١م اعترضت الحكومة على عقده بمدينة أسيوط بدعوى الخشية من حدوث القلاقل هناك، بسبب توتر الشعور العام توترا قد تصعب السيطرة عليه فى غير القاهرة، فاستمسك الداعون للمؤتمر بعقده فى أسيوط وهددوا بالاستعانة على الحكومة بالدول الأجنبية صاحبة الامتيازات .... (٣) ويذكر التاريخ أن اخنوخ فانوس زعيم الطائفة الإنجيلية، الذى تلقى تعليمه فى المدرسة الإنجيلية بأسيوط وأكمله بالجامعة الأمريكية فى بيروت، هو من أوائل من يواجههم المطلع على التاريخ بالنسبة لدعاوى الانشقاق الطائفى فى مصر، رغم كونه غير تابع للكنيسة القبطية الأرثوذكسية دينا وتعليما، إذ تربى فى أحضان إرساليات التبشير الأجنبية، وقد عمل أخنوخ فى هذه الفترة على تكوين حزب سياسى أسماه "الحزب المصرى" وكان هدفه على ما ذكر، الحصول لمصر على الاستقلال عن طريق الصداقة المصرية الإنكليزية، وجاء فى برنامج الحزب الاجتهاد فى إيجاد صداقة وإخلاص حقيقى بين مصر وانجلترا حتى تكسب صداقة انجلترا، وظهر من برنامجه أنه لا يقف عند حدود المطالبة بالتفتت الطائفى لمصر، ولكن يستهدف من توثيق الصلات مع بريطانيا إدخال الأجانب دستوريا فى نسيج مؤسسات الحكم وضمان سيطرتهم دستوريا على الحكم .... (٤) هذا هو منطقهم وهذا هو سلوكهم فى الماضى والحاضر وفى كل وقت، لا يكفون عن التهديد بالاستعانة بالقوى المتربصة والمعادية لمصر، بل واستعداء كل مسيحيى العالم ضدها، فضلا عن اعتصامهم أمام البيت الأبيض الأمريكى والكونجرس، وعقدهم اجتماعات ولقاءات مع الساسة ورجال الدين من الأوربيين والأمريكان، بهدف ترويع وإخضاع المسئولين المصريين والقائمين على الحكم فى مصر لمطالبهم، صغر شأنها أم عظم، حادت عن الصواب والعقل أم أصابتهما، توافقت مع الشرع والدستور أم جنبتهما .

يزعمون أنهم ممنوعون من الصلاة، والقانون فى مصر يعطى لكل مسيحى الحق فى التأخر عن مواعيد العمل الرسمية ساعتين يوم الأحد

حتى يذهب إلى الكنيسة، كما يعطى لهم الحق فى إجازة رسمية للاحتفال بأعيادهم، وهم بذلك يحصلون على إجازات أكثر من المسلمين . يزعمون أن عدد الكنائس لا يتناسب مع أعدادهم، ولنتساءل هل ضاقت كنيسة على روادها من المسيحيين، بل إن كنائس مصر تتسع لأعداد أكثر بكثير عن أعداد أقباط مصر جميعا، والعكس من ذلك فى المساجد، حيث تزدحم بالمصلين ويلجأ المسلمون إلى الصلاة فى الشوارع، وهذا ما يبدو واضحا لكل ذى عينين، يومى الأحد والجمعة من كل أسبوع .. ولا ننسى يوم إصدار الرئيس السادات قراره بإنشاء سبعين كنيسة وهم كانوا لا يطالبون بأكثر من عشرة فقط . كما لوحظ فى الآونة الأخيرة ظاهرة بناء أسوار حول بعض العمارات بدعوى الإصلاح، ثم نفاجأ بعد انتهاء الإصلاح والتجديد بأن المبنى قد تحول إلى كنيسة، كما أن الكنائس فى مصر تباشر أنشطة اجتماعية وثقافية ورياضية وتنشئ مدارس وتصدر صحف ومجلات .... (٥) ولا أحد من المسئولين يكترث أو يبدى اعتراضه .

ولن نقارن بين الامتيازات التى يتمتع بها أقباط مصر، وبين ما تعانيه أية أقلية فى العالم، ولكن سنقارن بين ما عاناه أقباط مصر من عنت وظلم على أيدى مسيحيين مثلهم، وبين الأمن والأمان الذى عاشوه فى ظل الحكم الإسلامى لمصر، يذكر الدكتور وليم سليمان : أن كنيسة مصر لم تنس قط الحقبة الأولى من تاريخها، عندما لقى الأقباط كل عنت واضطهاد، على أيدى المسيحيين الملكانيين، الذين ساموهم باسم المسيحية أشد أنواع العذاب، وأنه حتى الآن لا يكاد يمضى شهر، إلا وفيه ذكرى لأحد شهداء هذه الفترة، وحتى الآن تذكر الكنيسة أبناءها فى اجتماعات الصلاة بما لقيه آباؤهم على يد الكنيسة البيزنطية من تعذيب، وأن الأقباط لم ينسوا قط كيف يتخذ الدين ستارا للقهر والاستغلال (كتاب الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية) .. ويذكر جورج يونج فى كتابه "مصر" عند حديثه عن الأقباط والمسلمين أنه لا يوجد فى مصر تفرقة طائفية ضد الأقباط، تفرقة من تلك التى تعانى منها الأقليات الضعيفة فى أوربا، كما ذكر أن تاريخ الأقباط يكشف عن أنهم عانوا ضيما من أهل ديانتهم المسيحيين الأرثوذكس أو الكاثوليك أكثر مما عانوا من أهل وطنهم المسلمين .... (٦) بينما أوصى رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام بأقباط مصر خيرا وأن لهم نسبا وصهرا يقصد هاجر أم إسماعيل ومارية أم إبراهيم . وعندما فتح عمرو بن العاص مصر كان الأقباط فى أشد حالات الاضطهاد الرومانى، وكل القساوسة والرهبان فى موضع شتات ومطاردة، ومن مآثر عمرو بن العاص أنه احترم أملاك الكنيسة القبطية وحفظ لها كيانها، ويعلم العارفون أن أول ما فعله المسلمون فى مصر استدعاء القمص بنيامين الذى كان هاربا من ظلم الروم إلى الصحراء الغربية، وإعادة تنصيبه بطريقا على الإسكندرية .. ويذكر التاريخ أن دير ماريوحنا

وبجانبه جامع عمر قد احتله الصليبيون وطردوا منه الأرثوذكس وعندما استرد صلاح الدين القدس أعاد إليهم الدير وتوابعه .... (٧) ولم يذكر التاريخ عن أية مذابح، ارتكبها المسلمون الأوائل، ضد الأقباط، أو أنهم أجبروا أحدا على الدخول فى الإسلام، وأبسط مثال على ذلك، هو أننا نجد من المسلمين من هو متزوج بكتابية ولم يجبرها على تغيير دينها، بل وتمارس شعائرها الدينية بحرية كاملة .. والأمثلة كثيرة لا يتسع المجال لها هنا، تدل جميعها على سماحة الإسلام، وحسن معاملة المسلمين للأقباط، والتى كانت السبب فى دخول الكثير من أقباط مصر فى الإسلام، فما كان لجيش عمرو بن العاص والذى بلغ عشرين ألف جندى حينئذ، أن يتكاثر ليصل إلى عدة ملايين، كما هو عليه الآن عدد المسلمين فى مصر، وما كان لأهل البلد، إن لم يكونوا قد أسلموا بكامل إرادتهم، أن يقف تكاثرهم ليصيروا قلة قليلة، كما هو عليه الآن عدد الأقباط فى مصر .

يزعمون أن هناك فتنة طائفية، وإن كان هناك فتنة طائفية على حد زعمهم، فسببها الأول والمباشر هو بعد الأقباط عن الالتزام بمبادئ الإسلام وتعاليمه التى ساروا عليها دربا طويلا منذ الفتح الإسلامى لمصر، يقول كرومر : إن القبطى من الرأس إلى القدم لا يعدو أن يكون مسلما فى عاداته ولغته وروحه، وما بين قبط مصر ومسلميها من الروابط يفوق بما يقاس ما بين مسيحيى مصر ومسيحيى أوروبا .ويقول أيضا : إن تجربته الخاصة تقوده إلى عدة نتائج منها أن القبطى المصرى اكتسب خصائص أخلاقية يتصف بها المسلم المصرى .. ثم قال : إنه بوجه عام الخلاف الوحيد بين القبطى والمسلم أن الأول يتعبد فى كنيسة مسيحية بينما الآخر يتعبد فى مسجد محمدى .

وقد كان الحجاب مضروبا على نساء الأقباط كما هو مضروب على نساء المسلمين، وفى الريف لا تكاد تفترق عادات الأقباط عن عادات المسلمين، كما كان للأقباط قديما رواق بالأزهر يتلقون فيه العلوم المنطقية والشرعية، وأن ممن درسوا بالأزهر قديما أولاد العسال ، وهم من كبار مثقفى القبط ، ولهم مؤلفات هامة ، ومنهم ميخائيل عبد السيد صاحب صحيفة الوطن، وقد كان وهبى تادرس الشاعر يحفظ القرآن الكريم ويكثر من الاقتباس منه، وكان فرنسيس العتر يحضر دروس الشيخ محمد عبده .... (٨) هكذا كان يعيش الأقباط ولم تكن يومئذ فتنة طائفية، وقت أن عاش الأقباط مسيحيين دينا، ومسلمين وطنا، وعادات وتقاليد، وعندما انسلخ الأقباط عن مبادئ الإسلام وأوامره وداروا فى فلك المنصرين أصحاب العقلية والفكر الذى يختلف عنا، بدأ حدوث شرخ فى العلاقة بين المسلمين والأقباط .ولم يكن المنصرون وحدهم وراء الفتنة، بل كان معهم هؤلاء النفر من الأقباط الذين هجروا مصر، وعاشوا فى بلاد المهجر، وعندما تدفقت الأموال بين أيديهم، باتوا يحلمون بامتلاك المنصب والسلطة، فلم يجدوا إلا أرض مصر

ليتحقق لهم فيها ما يصبون إليه، فبدءوا ينادون باستردادهم لمصر وأنهم أحق بها من غيرهم لإقامة دولتهم الخاصة بهم، واتخذوا من المتطرفين الأقباط وفقرائهم، وما يدعمهم من تنظيمات قبطية تعمل تحت السطح، ولها تسليحها الخاص، وسيلة لتحقيق مآربهم .... (٩) وهؤلاء المستثمرون الذين عملوا على إنشاء مؤسسات اقتصادية ووحدات إنتاجية على أرض مصر لا تخرج عن كونها معسكرات إعداد وتحريض للأقباط ضد المسلمين، وهؤلاء الذين ارتدوا يوما ما رداء الشيوعية، ثم أسفروا عن سوءاتهم، بعد أن بلت الشيوعية وسقطت قلاعها، ولا يخفى على أحد دور مجلس الكنائس العالمي، هذا المجلس الذي يحيط بإنشائه وعمله ونظريته الاجتماعية والسياسية شوائب عديدة، أهمها علاقته بالمخابرات المركزية الأمريكية، وتوظيفه الطاقات الكنسية لتحقيق السيادة الغربية الحضارية والسياسية في العالم كله، وعلاقته بالحركة الصهيونية التي أثمرت تغير جزء من العقيدة المسيحية ماداموا آمنوا بها، وهي إصدارهم وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح .... (١٠) كل هؤلاء ساهموا بقسط أو بآخر في إنبات الفتنة الطائفية واشتداد عودها وتفرع أغصانها وانتشارها لتظلل مساحات كبيرة من أرض الوطن وعقول أبنائه. وسوف تشهد الأيام القادمة تطورا في العلاقة بين الأقباط والمسلمين في مصر، هكذا تشير التوقعات، ولكن وليعلم الجميع أن أية محاولة لزعزعة استقرار البلد أو الإضرار بها، سيكون الأقباط هم الخاسر الأكبر فيها، فقنابل المعتدين، ونيران أسلحتهم، التي تدك القرى والمدن، وتفتك بالحجر والبشر، وتحصد الأخضر واليابس، لا تفرق بين قبطي ومسلم، كما أن النيران الصديقة هي الأخرى لا تميز بين العدو والحبيب، وقانا الله وإياكم شر هذا وذاك.

أشرف شعبان

المراجع:

١ - جريدة النور العدد ٥٥٩ الأربعاء ١١ ربيع الأول ١٤١٣هـ الموافق ٩ سبتمبر ١٩٩٢م

٢ - الأقباط في السياسة المصرية د. مصطفى الفقي ص ٢١ - ٣٠

٣ - المسلمون والأقباط في أطار الجماعة الوطنية طارق البشري ص ٣١ و٥٩ و٦١ و٧٠ و٧٣

٤ - المسلمون والأقباط في أطار الجماعة الوطنية طارق البشري ص ٣٣و ٤١و ٤٢و ٤٣و ٦٢ و٢٠

٥ - جريدة النور العدد ٥٠٧ الأربعاء ١٢ محرم ١٤١٢هـ الموافق ١٩٩١/٧/٢٤

٦ - المسلمون والأقباط في أطار الجماعة الوطنية طارق البشري ص ٣٣ و٤١ و٤٢ و٤٣ و٦٢ و٢٠

٧ - مجلة الحوادث العدد ١٧٤٩ الجمعة ١١مايو ١٩٩٠م

٨ - المسلمون والأقباط في أطار الجماعة الوطنية طارق البشري ص ٣٣ و٤١ و٤٢ و٤٣ و٦٢ و٢٠

٩ - مجلة روز اليوسف العدد ٣٣٣٧ ١٩٩٢/٥/٢٥م الموافق ٢٢ذي القعدة ١٤١٢هـ

١٠ - جريدة الشعب العدد ٥٩٦ الصادر بتاريخ ١٩٩١/٥/٧م الموافق ٢٥شوال ١٤١١هـ

د . ليلى بيومى

● مازالت خريطة الفضائيات فقيرة من ناحية القنوات الدينية التى لا تتمتع بحرفية ومهنية عالية تمكنها من جذب مساحات شعبية واسعة ، ومازالت الرؤية الإعلامية غائبة على القائمين عليها ، لأنها معنية فى الأساس بالخطابة وحشد غير المتخصصين والبعد عن الأخبار والمتابعات والبرامج الحية، فما أن تظهر قناة وتحاول تثبت وجودها أو يحاول الناس الانتباه إليها حتى تختفى أو تخبو ، فالبعد الإسلامى الرسالى والمقدر بحجم التحديات التى تحيط بالإسلام وبالشعوب الإسلامية مازال غائباً، أو ليس بالقدر الكافى، وأعتقد أنه عندما يتحرر رأس المال من خدمة اتجاهات بعينها ويكون معنياً فى الإسلام بخدمة الإسلام يحمل رؤى وأفكار جديدة تستحق المتابعة .

● على إحدى القنوات غير المعروفة استضاف على غير عادته الخبير إبراهيم الفقيه الذى يتحدث بسرعة فائقة عن كل شئ وبأى شئ ، ولا تستطيع أذنك وكل أحاسيسك أن تتمكن من متابعته ، ومشهور عنه أنه خبير فى الإدارة .. وما علاقة هذا بتقديم البرامج الحوارية ؟.. لكن يبدو أنه خبير شامل .. وقد استضاف المحاور الشامل "مفيد فوزى" وكل الحلقة عبارة عن سيل من المديح المتبادل ، وقد أطلق الفقيه على مفيد فوزى أوصاف لأول مرة أسمعها فى شخص مثل مفيد فوزى الذى لا يعدو أن يكون صحفى أو مذيع ماهر ، أو ماهر جداً جداً ، أو مستفز ، لكن الجديد جداً أن يوصف بأنه عالم وعبقرى فذ !!.. والعملية كلها مجاملات لدرجة الاستفزاز ، وهذا الكلام عليه جمرك ، وفى النهاية معظم هذه القنوات معبرة بشكل جيد عن أحوالنا المقلوبة .

● متابعة ٩٠ دقيقة والعاشرة مساءً على المحور ودريم .. وامتحانات الثانوية العامة ونقل نبض الناس ومشاكل الطلبة وألغاز الامتحانات ومجزرة أولياء الأمور شئ طيب ، ويمتص أحزان الناس وهموم ملايين من المعذبين فى مصر .. لكن الحقيقة أن الخطة سارية والحصار مستمر ، وبعد سنوات قليلة جداً سيُلغى التعليم المجانى تماماً ، لكن ستظل مقولة "أن التعليم يجب أن يكون كالماء والهواء ، لأنه بعد ذلك سيفرضون ضرائب باهظة على الهواد الذى نتنفسه ، والماء طبعاً يُباع الآن بأغلى الأسعار .

●●●

بروتوكولات حكماء العرب

نص أدبى .. بقلم د. محمد عباس

(١)

كيف وصلت إلىّ هذه البروتوكولات ؟..

ليتنى كنت أستطيع أن أقول لكم !!..

لكننى ممنوع من التصريح والبوح ..

قد أستطيع أن أحوم من بعيد وأن أشير وأن ألمح .. لكننى لن أستطيع أبدا أن أبوح وأصرح .

ممنوع أنا من أن أمارس المتعة الوحيدة للبؤساء والمكروبين والمساكين وهى أن أفضفض بما عرفت وأن أثرثر بما سمعت وأن أحدث عما رأيت ..

ممنوع ..

ثم إن هناك مشكلة أخرى أبادر بالاعتراف بها .. وإلا بدا لى أو لكم أننى أتعمد الغموض كى أعطيكم إحساسا كاذبا بأهميتى .. أو أننى أتورط فى الكذب عليكم كى أثير المزيد من فضولكم، فما ذكرته على الفور قد يوحى لكم بأننى أعرف الكثير الكثير لكنى أخبئ هذا الكثير .. وأخفيه عنكم، وذلك كله غير صحيح .. فما أشد جهلى بالأمر كله !!

د.محمد عباس

حتى إن كل ما أعرفه لم يرو فضولى أنا نفسى ولن يروى بالتالى فضولكم .. بل إننى أعترف أننى أكثر منكم فضولا ، فأنا المعنى بالأمر بل والمتورط فيه دون إرادة منى .. ودون أى سابقة قد تبرر أو تفسر إسناد الأمر إلىّ أنا بالذات دون أى واحد منكم .

كنت مسكينا من المساكين مثل معظمكم .. حتى فوجئت بالأمر .. وبذلك الشخص المجهول الذى لم أره حتى الآن، وبتلك الرسالة الغامضة التى لا أعرف مبتداها أو منتهاها أو حتى فحواها .

لقد حذرنى الشخص المجهول الذى أرسل إلىّ هذه البروتوكولات من أن أبوح باسمه .. ودهشت من الأمر لأنه فى الحقيقة لم يخبرنى باسمه !!..

وحذرنى من أن أشير إلى جنسيته رغم أننى لا أعرف من أى البلاد يكون .. كل ما قاله لى إنه من بلاد لا إله إلا الله محمد رسول الله .. وهو بهذا الشكل لم يحدد مكانا ولم يستثن بلدا ؛ لأنه .. حتى وإن اختلفت الرؤى .. فإن كل البلاد هى بلاد لا إله إلا الله محمد رسول الله بعد أن بلغ الأمر ما يبلغه الليل والنهار .

لقد نبهنى المرسل المجهول ألا أبذل جهدا فى محاولة كشف جنسيته بقراءة أختام البريد على المظروف .. قال إن هذه الأختام على المظروف الذى يحتوى على مخطوط هذه الأوراق لا تدل على مكانه .. فقد تعمد أن يرسل المظروف من بلاد غير بلده .. وزيادة فى الحرص فإنه لم يرسله بنفسه .. ولم يكن أبدا فى البلاد التى أرسلت الأوراق منها .

لقد حاولت طيلة قراءة هذه الأوراق أن أستنبط من أى البلاد يكون .

فى فقرات كنت أهتف: إنه من مصر ..

لكننى فى الفقرة التالية كنت أهتف : لا .. بل ليبيا .. بل السودان .. بل السعودية .. بل سوريا .. بل الشام .. بل إيران .. بل الهند والسند .. بل بخارى .. بل سمرقند .. بل الداغستان .. بل البوسنة والهرسك .. بل الأندلس .. بل.. بل.. بل.. بل ..

وأحيانا كنت أهتف: العرب .. المماليك.. الجراكسة .. التتار .. الفرس .. الأتراك .. البربر ..

ولم يقتصر الأمر على ذلك ؛ لأننى كنت فى أحيان أخرى أصيح : هذا هو الملك فلان .. أو الرئيس أو الأمير .. أو الشيخ .. أو الوزير .. أو الكاتب ..

لكننى أصارحكم القول يا قراء .. أننى فى كل مرة كنت أشعر بخيبة أمل فظيعة .. إذ ما أكاد أضع يدى على يقين حتى يختفى .. رغم أن السطور تشف حتى تكاد تنطق .. والمعانى ترق حتى تكاد تُرى .. لكنها لا تنطق أبدا ولا تُرى .

لا أعرف أيضا الفترة الزمنية التى كتبت

نحو وعى سياسى

فيها هذه البروتوكولات .. فأثناء قراءتى لها كنت أظن أحيانا أنها كتبت أمس أو اليوم وأن من كتبها قد تعمد أن يدس فيها أحداثا قديمة تنصلا مما قد تجره عليه من متاعب .. وفى أحيان أخرى كنت أؤكد أنها كتبت منذ ألف عام .. لكن المرسل المجهول دس فيها ما حدث بالأمس وما يحدث اليوم وما قد يحدث غدا. .. ربما إسقاطا على ما يمكن أن يحدث لنا فى المستقبل .. بل أحيانا كان يشير إلى حرب بالصواريخ زمن السيف .. وفى أحيان أخرى كان يرمز إلى حرب بالسيوف زمن الصواريخ.. ولست أدرى لماذا فعل ذلك ؟.. لماذا حرص على كل هذا الغموض .. أهو مجرد الإخفاء لأصل نص خطير كهذا ؟.. أم أنه بالغموض يدس تأثير قوة الأسطورة فيما يكتب .. أم .. أم .. أم

على أننى أريد أن أصارح القارئ أيضا .. أن الخط والمداد الذى كتبت به هذه البروتوكولات ليس خطا واحدا ولا لونا واحدا .. بل إن الأغلب أن عشرات الأيدى وربما مئاتها قد اشتركت فى كتابتها .. ولقد حاولت حتى بتحليل نوع الورق والمواد الكيماوية المستعملة فى هذا المخطوط أن أستكنه منها غموض التاريخ والجغرافيا فعجزت .

حاولت واجتهدت وعجزت ..

كان يلزم للأمر كى يتم مراكز بحث كبرى ومعامل هائلة قائمة على أحدث وسائل التكنولوجيا .. ولست واثقا من أن ذلك كله لو كان قد توفر كان كفيلا بحل الأمر .

هل لو كنتُ جامعة أو مركز أبحاث أو وكر مخابرات أو حتى ملكا أو رئيسا : هل كان هذا سيساعدنى على فك هذا اللغز ؟..

علمى الضئيل وثقافتى المحدودة وأفقى الضيق يخبروننى جميعا أن المزيد من المعرفة لا تقلل مساحة الجهل، بل على العكس، كل علم جديد يزيد من إدراكنا لحجم ما نجهل .. المصباح الصغير فى بقعة ظلام دامس يعطيك دائرة صغيرة من الضوء ويكشف حولها دائرة ظلام أكبر، وكلما اشتدت قوة المصباح ازداد قطر دائرة الضوء وازدادت أيضا مساحة الظلام المحيطة. المعرفة كالمصباح. لاحظوا الآن .. فى إطار هذا المثل أننى تكلمت عن مساحة للضوء تمثل قدر علمنا .. وتحيط بها مساحة أكبر بكثير من الظلام المدرك تمثل جزءا من جهلنا .. دعونا الآن من الظلام غير المدرك : لأنه محير جدا.. وربما تتشوش عقولكم إذا ما حدثتكم الآن عنه .. فدعونا نَعُدْ إذن إلى ما كنا فيه .. حيث إننى واثق أن قلة الوسائل لم تكن السبب فيما ألمّ بى .. وربما إذن لو توفر لى كل ما أريد من وسائل المعرفة، لأصبحت حيرتى من الأمر أكثر من حيرتى الآن .. لكننى لا بد أن أعترف .. أننى برغم الحيرة كنت واثقا من شىء ما .. كنت واثقا من أن هناك مخطوطا .. فقد كان فى يدى.. وكنت واثقا من أن الأمر جد لا هزل .. وكنت واثقا من المرسل المجهول.. لكننى أعترف أيضا أن هذا اليقين الذى كان غالبا علىّ رغم دواعى الشك .. إنما هو يقين لا يتعلق بالجهل أو المعرفة .. فحتى اليقين نفسه كان مجهول المنبع .. أو أن منابعه كانت توجد فى إطار مساحة الظلام الهائلة المحيطة ببقعة الضوء

المحدودة.. ولن نتحدث الآن عن يقين حقيقى إيجابى متفاعل فاعل .. وعن يقين آخر ليس يقينا .. يقين كالسراب .. يريح من لفحه الهجير وشوته الشمس وأضناه العطش فيوهمه أنه أوشك أن يجد الماء .. يقين جبان هش دافعه الرغبة فى الركون إلى الراحة والخوف من المواجهة .. لا أتحدث عن هذا. أتحدث عن يقين حقيقى .

حاولت أيضا فى البداية أن أخمن من يمكن أن يكون قد صاغ هذه البروتوكولات : هل هو ملك أم رئيس أم أمير أم زعيم حزب سياسى أم ضابط مخابرات ؟؟!!.. هل هى فلسفة عصابة كعصابات المافيا؟ أو جماعة كجماعات كوبنهاجن ؟.. هل هى مؤامرة للاستيلاء على الحكم؟ أم أنها مؤامرة من الحكام كى لا يتركوا الحكم أبدا ؟.. أم أن ذلك كله غير صحيح وليس هذا المخطوط سوى منهج دراسى يدرس للنخب الحاكمة فى عالمنا الإسلامى .. منهج يدرس فى معهد سرىّ لم نسمع به قط .. معهد قد يكون مقره فى روما أو لندن أو باريس أو تل أبيب .. معهد لا مبنى له .. لكنه ينتشر كأذرع الأخطبوط أو كالسرطان فى عواصمنا .. بحيث لا يكاد أن يكون هناك مسئول لم يتخرج منه .

فكرت أن تكون هذه الأوراق أيضا نص الخطبة الافتتاحية فى أحد مؤتمرات القمة السرية التى لم يُعلن عنها .. أو أن ملكا قد كتبها لأبنائه وأحفاده كى ينشبوا مخالبهم فى رعاياه أبد الدهر .. أو أنه رئيس .. هل يختلف الأمر ؟..

هل يختلف ؟

كل ذلك كان مجرد احتمالات .. مجرد احتمالات وعناصر النفى فيها توازى عناصر الإثبات .

لكن ذلك الشخص المجهول الذى أرسل المخطوط إلىّ لم يخف عنى أن خفاء هذه البروتوكولات لا يضارعه إلا علانيتها .. وأن كل الناس يعلمون بما فيها لكن لا أحد ينطق ببنت شفة .. قال إنه يفهم أن يتآمر الصياد على الفريسة لكنه لا يفهم أبدا كيف تتواطأ الفريسة معه فى التآمر على نفسها .. ولقد صارحنى أيضا أنه أرسل صورا من المخطوط إلى عدد لا حصر له من الكتاب والمفكرين دون أى رد فعل منهم .. بل لقد اتصل بهم بعد ذلك كيف ؟ لم يفصح .. - ففوجئ أن أغلبهم وجه إليه أسئلة جعلته لا يشك أن مهنة الفكر والكتابة ليست إلا ستارا لعملهم فى الشرطة أو المخابرات .. ولقد امتنع تماما عن الظهور أمامهم .. فقد كان واثقا أنهم بغض النظر عن العجز والقدرة سيحاولون تسليمه للسلطات .. لم يقل لى المرسل المجهول كيف اتصل بهؤلاء الكتاب والمفكرين .. ولكننى أدرك ما دام قد اتصل بهم فقد يتصل بى فى أى يوم .. يقتلنى السؤال: لماذا اتصل بهم ولم يتصل بى .. ولقد فهمت ضمنا أنه يكن لهذه الحثالات البشرية والطفيليات الحيوانية كثيرا من الازدراء والاحتقار .. فلماذا إذن اتصل بهم ولم يتصل بى أنا ؟!.. ولماذا أخبرنى بكل ذلك فجعل وهم زهو تفردى بهذه البروتوكولات يزول .. ينهش القلق قلبى .. وأهاتف القلب غير المطمئن قائلا: فلتنتظر .. فربما يتصل بك. وها أنذا أنتظر .. أجمع له آلاف الأسئلة وأنتظر .

ملايين الأسئلة لكنى لا أملك إلا أن أنتظر .

هذا هو كل ما أعرف يا قراء، وقد قلته لكم.
ما لم أقله لا أستطيع أن أقوله ..
فأتوسل إليكم .. ألا تلحوا بأسئلتكم عليّ .. إلا إذا كنتم متواطئين مع الصياد والفريسة .. لأن بوْحي بأكثر مما بحت به قد يعني هلاكي وهلاك الرسل الذين اشتركوا في توصيل هذه الأوراق إليّ ..
لذلك أتوسل إليكم مرة أخرى - أن تقرءوا هذه البروتوكولات كما قرأتها .. ولتلفحكم نيرانها كما لفحتني .. ولتعذبكم كما عذبتني .. ولتتساءلوا كما تساءلت .. ولتفكروا كما فكرت ولتسهروا الليالي كما سهرت ولتبكوا كما بكيت ولتصرخوا كما صرخت وليمسكم الروع كما مسني، بل وزلزلني .. فالأمر لا يخصني وحدي.. وما يتعلق بي من هذه البروتوكولات لا يزيد عما يتعلق بكم منها .. لكن قدري هو الذي جعلني مسئولا عن توصيلها لكم .. وهو قدر كان يمكن أن يحيق بأي واحد منكم .
ما أبهظني .. ما أقض مضجعي .. علمي بأن أوراق هذه البروتوكولات ليست كاملة .. ولا مرتبة .. ولا أنا أستطيع أيضا أن أؤكد أن جميع أوراقها المبعثرة تنتمي لها .. وأن المصادفة أو التعمد لم تضيفا وريقات إليها .. وعلى سبيل المثال .. فإن تلك الورقة التي لا عنوان لها .. والتي سميتها أنا "الاعتراف بالإيمان" لا يمكن ضمها لأي فصل من الفصول.. ولا لأي بروتوكول من البروتوكولات .. لذلك لا أستطيع الجزم .. هل هي من البروتوكولات أم مدسوسة عليها .
ما أبهظني أيضا وأقض مضجعي .. أن المقدمة والخاتمة قد سقطتا من الأوراق .. بحثت كثيرا فلم أجد .. لو أنني عرفت البداية لفهمت .. ولو أنني عرفت النهاية لعلمت .. تساءلت وتساءلت .. وتساءلت، وآلاف الأسئلة عجزت عن أن أجيب على سؤال واحد منها .. لذلك أطرحها عليكم كما وصلتني .. فلعل ما عجز عقلي عن فهمه .. تفهمه عقولكم .. فالأمر على أي حال ليس أمري وحدي .. فهو يهمكم كما يهمني .. ليس اهتمام اقتناص فرصة أو النجاح في صفقة أو تجنب شَرَك .. أو الإفلات من خديعة .. وليس أيضا إغراء حل لغز .. لا .. ليس أيا من ذلك .. الأمر أمر حياة أو موت .. بل أكثر من الحياة والموت .
لا أريد أن أطيل عليكم.. لذلك أختم هذه المقدمة التي أخشى أن تكون قد طالت بالفعل بأن أحكي لكم عن حيرتي في كتابة عنوان هذه السلسلة من المقالات .. فقد كان العنوان الأصلي للأوراق :
"بروتوكولات حكماء العرب"
لكن خطا واضحا نتج عن قلم ما .. عمل بالشطب على كلمة "حكماء" ووضع أعلاها كلمة : "حُكّام".. لكنني اخترت العنوان الأصلي .. لأغراض لن تخفى عنكم .. ولقد لجأت إلى هذه الحيلة البريئة المسالمة في أضيق نطاق .. لجأت إليها أثناء نسخي للمخطوط .. ولم ألجأ إليها إلا تقية عندما كانت الكلمات تكاد تصرخ : أنا أقصد فلانا ..
إنها عبقرية المصادفة، أو عبقرية المخطوط

.. وهي عبقرية لن أستطيع أبدا أن أقنع بها رجال الأمن وهم يعذبوننى ساعة التحقيق .. ولا رجال النيابة وهم يتواطئون مع الشرطة .. ولا رجال القضاء وهم يتواطئون مع رجال النيابة ليحاكمونى .. ولأننى أدرك يا قراء أنه إذا وقعت الواقعة لن يتقدم منكم من يحمينى .. وليس هذا قدحا فيكم .. ولا قلة ثقة بكم .. وإنما ببساطة ؛ لأنه لا أحد منكم يستطيع أن يحمى نفسه أو أهله بله أن يحمينى .. لذلك تجوّزت ولا أقول تجاوزت .. فأبدلت كلمة هنا وكلمة هناك .. وحولت الماضى إلى مضارع والمضارع إلى ماض .. ورفعت حرف جر ووضعت آخر .. ولست أخفى عنكم .. أننى أثناء كتابتى لكم .. تكون إحدى عينىّ عليكم .. أما العين الأخرى .. فمركزة على جهاز الأمن الباطش الجبار .. مدركا أنه حتى الشيطان يمكن مقاومته بالاستعاذة منه وقراءة القرآن .. لكن أجهزة الأمن فى أنحاء عديدة من عالمنا الإسلامى .. قد أشيع عنها أنها تمزق القرآن .. وتدوسه بالأقدام .. فكيف لا أخاف .

ها أنذا أكاد أقع في الاستطراد مرة أخرى .. لذلك ألجم فمي .. وأكبح يراعى .. وأوقف تدفقى .. وأمنع خواطرى .. لا لخشية الإملال، بل مخافة الوقوع فى المحظور ..

لذلك أتوقف ..

فلتدلفوا معى إلى الموضوع مباشرة :

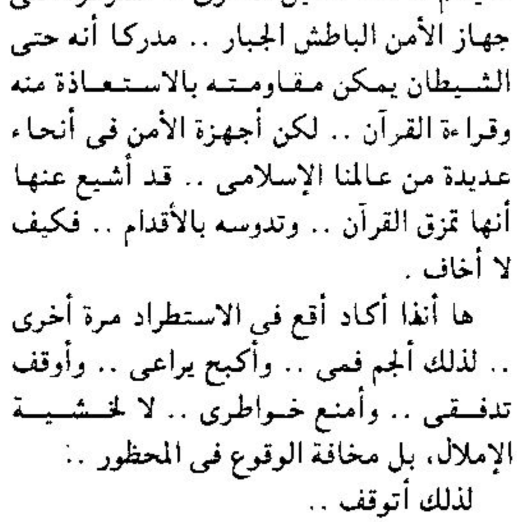

البروتوكول الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

سنكون صرحاء ونناقش دلالة كل تأمل، بل كل كلمة، بل كل حرف، بل الصمت نفسه، وسنصل إلى شروح وافية بالمقارنة والاستنباط . وعلى هذا المنهج سأعرض منهج سياستنا .. ويجب أن تتنبهوا أننا إذ نتكلم هنا نتكلم كى نصل إلى أعماق الحقيقة المجردة .. وعليكم أن تنسوا تماما كيف تتحدثون إلى الناس.. حين لا يكون لحديثنا من هدف إلا إخفاء الحقائق .. إننا نتصارح هنا بعقل يختلف اختلافا كليا عن العقل الذى نستعمله فى حياتنا العامة .. وعليكم أن تدركوا أن أى خلل فى هذا التقسيم سوف يؤدى إلى هلاككم جميعا .

أكرر .. وأحذر .. أن الأمل الوحيد فى احتفاظكم بأماكنكم هو أن تفكروا بطريقة مختلفة اختلافا كليا عن طريقة تفكير العامة والدهماء والجماهير .. لا أقول لكم إن هذه الطريقة مناقضة لطريقة الناس .. فالتناقض على أى حال يشكل نوعا ما من العلاقة ولو بالاختلاف .. لذلك لا أقول بالتناقض بل أقول إنه لا علاقة بين الطريقتين على الإطلاق .

إن هناك منكم من لا يزال فى منصبه منذ عشرين أو حتى ثلاثين عاما .. بل لقد تجاوز البعض فى حقب أخرى خمسين عاما .. وهؤلاء قد سمعوا منى أو من غيرى قبل ذلك .. لكن حتى هؤلاء سيحتاجون إلى كل تركيزهم معى لأننا نطور خططنا باستمرار .. فالرعاع يطورون خططهم باستمرار .. والسادة يزيدون من مطالبهم باستمرار .. ولتعلموا من الآن أن ما كان يصلح أمس رغم صحته لا يصلح اليوم .. وأن ما يصلح اليوم لا يصلح

للغد .. فى إطار من الحركة لا يتوقف .. فلا ثبات ولا دوام .

الأمر ليس معقدا .. إنه بسيط وسهل وبديهى .. حتى إنكم ستندهشون عندما تفهمونه على الوضع الصحيح.. ستندهشون لعدم فهمكم له هكذا منذ البداية.. فالأفكار مثل المشاهد التى يراها أى واحد منكم وهو يقود سيارته .. إنها تتغير باستمرار .. تتغير كتغير المياه الجارية فى نهر فلا يدع لك جريانها الفرصة كى ترى نفس النهر مرتين.. أبدا .. أبدا .. لذلك لا تحكم على وضعين بنفس الحكم أبدا حتى ولو تصورت أنهما متماثلان .

إننى أعلم أن معظمكم لم يقرأ كتابا فى حياته .. وأن قدرتكم على فهم التصور الفنى للمعانى تكاد تكون معدومة إلا عند واحد وربما اثنين .. لذلك سأستعمل أسهل الألفاظ وأكثر المعانى مباشرة .. وأقول لكم الآن على سبيل المثال أنكم ربما تتخيلون أنكم كلما أوغلتم فى المعرفة قلت مساحة جهلكم .. وهذا غير صحيح .. إنه يمكن أن يكون صحيحا فى مقرر مدرسى محدود بين دفتى كتاب لو استوعبته فقد استوعبت الأمر كله .. فى الحياة .. لا تسير الأمور على هذا المنوال .. بل تسير على العكس .. فكلما ازداد علمكم ازداد إدراككم لحجم جهلكم .. حتى إنهم يقولون أن العالم الحقيقى ليس من يعرف أنه يعلم كثيرا بل من يدرك أنه يجهل كثيرا ..

هل يبدو الأمر صعبا عليكم؟ دعونى أعطيكم مثالا يشرح لكم الأمر .. فى رحلات الصيد التى تقومون بها فى الصحراء .. عندما تشعلون أنوار السيارة المنخفضة فإنكم ترون مساحة محدودة من الضوء تحيطها مساحة أوسع من الظلام .. فإذا ما أشعلتم الأضواء العالية ازدادت مساحة البقعة المضيئة لكن مساحة الظلام ستزداد أكثر .. هذه القاعدة صالحة إلى ما لا نهاية .. كلما ازدادت قوة المصباح وأرمز به هنا للمعرفة - ازدادت مساحة الظلام .. التى أرمز بها للجهل .

هناك أمر متصل منفصل .. كان يمكننى تأجيله لموضع آخر.. وفى جلسة أخرى .. لكن ذكره الآن سيوفر علينا بعض الوقت .. لأننا لن نعود إلى التذكير بالخلفية النظرية ولا بتفاصيل المثال.. ذلك أنك لو وجهت هذا الضوء مهما بلغت قوته إلى السماء فى ليلة صافية شديدة الظلمة فإنك لن ترى شيئا على الإطلاق، لأنكم لا ترون الضوء ذاته بل ترون ما يعكسه أو يمتصه أو يشتته .. وتماما كما أن عماء الأعمى لا يعنى تلاشى الموجودات .. فإن ما أريدكم أن تتنبهوا إليه من المثل .. أن الأشياء قد تكون موجودة.. لكنكم لا ترونها .. تلك نقطة هامة جدا .. ولكن هناك نقطة أخرى لا تقل أهمية عنها .. لأن العقل البشرى الذى قد يعجز عن رؤية ما هو موجود قد يفعل العكس فيتوهم وجود ما هو غير موجود .

أريد أيضا - بداية - أن أنبهكم إلى الخلل الكامن فى العلاقة بين الكلمات والمعانى وبين الحقيقة المجردة .

يجب أن تعلموا أن الكلمات والحروف مجرد أشكال .. شفرة .. تعمية .. رموز ..

وأنها وحدها لا تعني شيئا .. فالماء مثلا .. ليس مكونا من الميم والألف والهمزة .. لكنه مكون من اتحاد ذرتين من الهيدروجين بذرة من الأكسيجين .. والفرق بين الحروف الثلاثة والذرات الثلاث هو الفارق بين الكلمة كرمز وبين الحقيقة كواقع .. ليس لحروف الكلمة أية علاقة بالذرات المكونة للمادة .. ليس ثمة أي تشابه ولا حتى دلالة .. ولو أننا اصطلحنا اليوم على أن نسمي الماء نارا .. واتفقنا جميعا على ذلك .. وسقنا الناس سوقا عليه .. فإن ذلك لن يؤثر على ذرتي الهيدروجين وذرة الأكسيجين أي تأثير ..

هذه واحدة ..

الثانية أن لفظة الماء نفسها تعني مئات المعاني تختلف باختلاف سامعها وباختلاف الوقت.. فالماء بالنسبة لمعظمكم الآن يعني هذا الكوب البارد الموضوع أمامكم لتشربوه .. أما عندما تعودون إلى مهاجعكم بعد نهاية هذا الاجتماع فهو يعني دلوا من الماء الدافئ تغتسلون به .. بالنسبة لمرضى العيون قد تكون مياه زرقاء أو بيضاء .. وبالنسبة لمرضى القلب فإنه يعني على الفور ماء على الرئة ولمرضى الكبد استسقاء ولمرضى الكُلَى بولا محصورا .. بالنسبة للفلاح يختلف الأمر .. لأنه لا بد أن يفكر في الري حين يسمع كلمة الماء .. لكنه يفكر فيه بمعنيين متناقضين .. ففلاح الصحراء يفكر في شحه أو انعدامه وفلاح الوديان يخشى من الفيضان الذي يجرف أمامه كل شيء .. أما جندي المطافئ فيفكر في ماء يطفئ به حريقا.. لكن زميله .. الجندي الآخر الذي يعمل في سلك الأمن فقد يفكر في الطرق المختلفة التي يجعل بها الماء البارد جدا والساخن جدا أكثر تعذيبا للمتمردين والإرهابيين .. زميلهم الثالث الذي عبر قناة السويس لن يذكر إلا المياه التي سلطوها على الحاجز الرملي لينهار .. عالم البحار سيفكر في شيء آخر .. وهكذا دواليكم .

الكلمات إذن مجرد شفرة ورمز دالّ على معنى.. وليس هناك أي حكمة أو حصافة في أن نخلص لهذه الرموز إخلاصا أعمى .

على العكس .

إنها حماقة وخيبة وسبيل إلى الهاوية .

لا أقصد بالطبع أن تخرجوا من هذا الاجتماع ليصدر كل واحد منكم مرسوما بقاموس يغير فيه أسماء الأشياء .. تلك أيضا حماقة .. مثل حماقة ذلك الذي أضاف كلمة العظمى إلى بلده الصغيرة، فأصبح مضغة في الأفواه، أو ذلك الذي وضع لافتة كبيرة على السجن المركزي تقول : "دار الحرية" أو تسميتنا لدار الفناء بدار البقاء.. لكنني لا أقصد ذلك الآن.. قد أقصده في وقت آخر.. وقد أعود إليه .. وقد لا أعود إليه أبدا.. فالوقت ضيق والمهام جمة والمشاغل لا تنتهي .. ما أقصده الآن شيء آخر .. لا ينصرف إلى رموز الأشياء بل إلى الحقيقة المادية .. وإلى حقيقة المعنى .. على أن ندرك بداية أن الحقيقة المادية ليست واحدة كما يظن معظمكم .. ذلك أن العقل البشري لا يعمل بطريقة عدسات الكاميرا، بل بطريقة ريشة الرسام .. بعدسات الكاميرا تبدو الحقيقة موضوعية ومستقلة عن الذات .. أما بريشة الرسام فنحن لا نرى الحقيقة المجردة بل نرى ما يراه الرسام .. وهو ليس متطابقا بالضرورة مع الحقيقة .. ثم إن هذا الكلام ليس صوابا مطلقا .. لأن الموضوعية المنسوبة إلى عدسات الكاميرا

ليست كذلك بالضرورة.. فمجرد اختيار الصورة انحياز .. وزاوية اللقطة انحياز .. وإبراز صورة وإخفاء صورة انحياز .. والتحميض وطريقة الطبع ونوع الورق انحياز .. كما أن ما يرسمه الرسام يحوى جزءا من الحقيقة وجزءا من الرسام .. ولنفترض على سبيل المثال أن هذا الرسام يعانى عمى الألوان .. وأنه ينقل فى الصورة التى يرسمها بريشته اللون الأخضر الذى لا يستطيع أن يراه فيضع مكانه اللون الرمادى مفجرا التساؤل هل اللون الأخضر موجود ومستقل عن الذات الإنسانية أم أنه لا يكون كذلك إلا من خلالها وهل الحقيقة الموضوعية المجردة مستقلة عن العقل والحواس أم أنها ما يتصوره العقل والحواس .. ومن خلال هذا التصور فإن الحقيقة المادية تختلف من شخص لشخص ومن مكان لمكان ومن زمان لزمان .. ولابد أن تختلف وإلا ما كنتم هنا .

من هذا المنطلق فعندما أقول كلمة الحرية مثلا.. فلابد أن يختلف المعنى عند الحاكم عنه عند المحكوم .. لا.. ليس مجرد الاختلاف ما أقصده .. بل هو التضاد الكامل .. فعندما نتكلم فيما بيننا فقط وليس أمام الدهماء عن الحرية فإننا نقصد حريتنا نحن فى الحكم وليس حريتهم .. بل إن أى قدر من الحرية يُمنح لأولئك السوقة هو انتقاص واستلاب لحريتكم يجب ألا تسمحوا به إلا لغرضين: الغرض الأول هو أن تحصلوا على الثمن .. أما الغرض الثانى فهو أن تجيدوا كالبهلوانات السير على حبلين مشدودين فى اتجاه معاكس لأنكم إن منعتم الحرية تماما عن رعاياكم فإنهم سيثورون عليكم لتفقدوا الحكم .. فإذا ما أسرفتم فى منحهم الحرية سيثورون أيضا عليكم وستفقدون الحكم أيضا.. إن الجماهير كالعبد الخسيس.. إذا جاع سرق وإذا شبع زنى .. لذلك فإنكم مع مثل هذا العبد يجب أن تعطوه من الطعام ما يكفى بالكاد لأغراضكم فى استخدامه بحيث لا يجوع ولا يشبع .

نعود إلى المثال الذى تركناه على الفور .. إلى كلمة الحرية .. إن عبقريتكم ونجاحكم يعتمد على استعمال نفس الكلمة للدلالة على المعنيين المتناقضين .. أن تقول الكلمة تقصد بها معنى فى رأسك بينما يفهم سامعك نفس الكلمة لكنه يفهم منها المعنى المضاد تماما .

إن الشعوب تندفع كالعجماوات فى اتجاه الكلمة التى تعنى معنى مجردا دون أن تتساءل أى تساؤل .. وعندما تلوح لهم بكلمة الحرية على سبيل المثال فإن أحدا لن يسألك: حرية من ؟ أنا أم أنت ؟ ثم كيف ؟ ثم أين ؟ ثم ماذا ؟ ثم لماذا ؟.. لن يسألكم أحد هذه الأسئلة .. رغم أن هذه التساؤلات بعينها هى التى يمكن أن تكشف لهم عن حرية كالماء وحرية كالنار .. وهذا العماء بالضبط هو المقود الذى تقودون به هذه العجماوات .. وعليكم أن تدركوا دائما أن الأعمى إذا قاد أعمى مثله فسيسقطان معا فى الهاوية .. وعماء الشعوب ناتج عن مفهومهم المتحجر الجامد لمعنى الكلمات التى ضربنا عليها الأمثلة الآن .

ما ينطبق على كلمة الحرية ينطبق على آلاف الكلمات غيرها .. على ملايين

الكلمــات .. بل على الكلام كله .. وإننى أريدكم أن تتـأملوا كلمـتى هذه إليكم في ضوء المفهوم الجديد وعلى مثال كلمتى الماء والحرية وأن تطبقوا هذا المفهوم على كلمات كالاستقلال والرفاهية والديمقراطية والتنوير والسلام والحرب والإرهاب والتعصب والتطرف والتمدن والحضارة والتحضر والعلم والجهل والبداوة والتقدم والرحمـة والأمن والأمـان والأمــانة والإيمــان والتنوير والعلم ونزاهة الانتخابات وحرية التعبير وحرية المرأة .

عليكم أن تفهموا ما قلت .. فتلك هى الأبجدية التى بدونها لا يستقر الحكم فى أيديكم أبدا .

أريدكم الآن وأنتم تسمعونى أن تتخلصوا من كل مفاهيمكم البالية عن الكلمات .

أريدكم أن تعلموا أنه لا يوجد حق وباطل .. ولا خير ولا شر .. ولا أمانة ولا خيانة .. ولا صـواب ولا خطأ .. ولا حلال بالطبع ولا حرام -أعتقد أنكم تجاوزتم النقطة الأخيرة منذ زمان طويل بل إن بعضكم لم يؤمن بها أبدا - لا يوجـد أى من ذلك .. يوجـد فـقط قـوة وضعف .. مفيد وضار .. مكسب وخسارة .. أما الصواب فكل ما تستطيع أن تثبته بالقوة مهما كان خطؤه.. والباطل فهو كل ما يقوله آخر لا يملك سيفا يهددك به دفاعا عن حقه مهما كان صوابه .. افهموا ذلك وعوه .. كل كلمة من هذه الكلمات تحوى معنى ظاهريا عليكم أن تتشدقوا دائمـا به .. وفى نفس الوقت عليكم أن تفهموا معناها الباطنى .. وهو ألا معنى محدد لها .. فالكلمة مشروع عمل .. فإذا نجح هذا العمل فالكلمة حق وخير وصواب وصدق .. وإذا فشل فالكلمة باطل وشر وخطأ وكذب .. وليس هناك أى مدلول آخر للكلمات غير ما أقول لكم .

إننا لا نستطيع أن نتقدم خطوة واحدة أبعد من هذا المدى الذى بلغناه قبل أن نعرج على كلمتين في غاية الأهمية .. هاتان الكلمتان هما: الله والدين ..

هل استوعبتم أننى بدأت كلمتى لكم بـ "بسم الله الرحمن الرحيم" .. كان هذا هو أول درس لكم.. فهل ياترى فهمتموه ؟.. يجب أن تبدأ خطبكم للناس بالبسملة.. دون أن يعنى ذلك أى شىء آخر .. يقولون إن الناس على دين ملوكهم .. وأنا أقول لكم العكس .. إن الملوك يجب دائمـــا أن يكونوا على دين رعــاياهم !!.. ليس بالمعنى الحـرفى .. إن الدهماء يحتاجون للإيمان فهو عزاؤهم الوحيد عن التعاسة والبؤس وأملهم الوحيد فى الجزاء .. بل إن إيمانهم هو على وجه الخصوص ما يحميكم منهم .. دعكم من أغراضنا الدعائية حين نخلط ما بين الإيمان والإرهاب ولا تنسوا أبدا أن فى إيمانهم أمنكم .. ولكن الترياق لهم سم لكم .. لأنكم لو آمنتم انتهيتم .

أرجوكم أن تنتبهوا معى .. فهذه المنطقة خطرة.. شديدة الخطورة .. الدين سلاح بتار لا تدَعــوه أبدا فى أيدى أعـدائكم .. إننى لا أتدخل فى عقائدكم الشخصية .. فليفكر كل منكم كيفما شاء .. لكن عليه أن يعمل بما نرى .. آمنوا أو اكـفـروا .. لكن إياكم أن تأخذوا الدين بمفهوم رعاياكم وإلا أقيمت على كل واحد منكم كل الحدود .. لا أتحدث عما فى قلوبكم .. لكننى أتحدث عن الحكم .. كيف يستمر وكيف يستقر .. كيف نستثمر الدين للاستمرار .. وفى هذا المجال فإن الإيمـان لا يعنى الإيمـان بالله بل الإيمـان بالحـاكم .. والكفر لا يعنى الكفر بالله بل

نحو وعى سياسى

الخروج على الحاكم .

لقد كان أسلافنا مستعدين دائما للإيمان بالله مادام هذا الإيمان يعنى الحق الإلهى لنا فى حكم الرعاع .. الآن .. بعد أن اكتشف هؤلاء الرعاع أننا ظللنا آلاف الأعوام نخدعهم وأن الله لم يعطنا أبدا حقا إلهيا فى حكمهم فإن علينا أن نطور من أنفسنا وإلا ضاع منا الحكم .. ولتفهموا جيدا أن ضياع الحكم منا ليس معناه أن تهربوا إلى الخارج لتتمتعوا بملايينكم وملياراتكم على شاطئ بحيرة فى سويسرا أو على ربوة فى أورلاندو .. عليكم أن تفهموا أن أى واحد منكم أنتم النخبة الحاكمة ليس له إلا مكان من ثلاثة : القصر أو السجن أو القبر .

لنبتعد عن الله .

وليس معنى ذلك أى موقف ضد الله .. بل إن أى موقف ضد الله هو حماقة عاقبتها الوحيدة هى الهلاك.. أقصد طبعا هلاك الدنيا .. هلاك على أيدى رعاياكم .. لذلك علينا أن نحاول أن نثبت للدهماء والرعاع دائما أننا مع الله وأن الله معنا .. وعلينا دائما أن نقمع بأى درجة من العنف أى فئة من الناس تحاول إثبات أن الله ليس معنا أو أنه معهم .

إن خير النتائج فى حكم الشعب ما ينتزع بالعنف والإرهاب والتزوير والتعذيب، لا بالمناقشات الأكاديمية .. إلا أنكم يجب أن تكونوا حريصين طول الوقت .. أن تستعملوا أشد وسائل الإرهاب وحشية لقمع المعارضين .. دون أن تعترفوا أبدا أنهم معارضون أو أنكم إرهابيون !!..

إن ذلك لا يتم بسهولة .. إذ لابد أن يحركه منهج شامل وعقل متكامل وفلسفة لا تغيب عن وعينا أبدا .

إننى ألاحظ فى الحقب الأخيرة تدنيا خطيرا فى وسائل تعاملكم مع رعاياكم .. لن أخدعكم .. ولن أتحدث عن مقاييس للشرف أو الأمانة أو النزاهة أو الشفافية .. فأنا أول من يدرك أن هذه المسميات هى وسائلنا لخداع الناس.. وأنتم ستهلكون فى حالتين : الحالة الأولى ألا يقتنع الناس بها وأن يدركوا أن الحياة ليست إلا غابة ولا يجوز التعامل فيها إلا بمنطق الوحوش .. أما الحالة الثانية فهى أن تؤمنوا أنتم بالشرف أو الأمانة أو النزاهة أو الشفافية .. ساعتها ليس ثمة محيص من هلاككم .

أعود إلى تدنى وسائل البعض منكم فى الحكم وفى التعامل مع رعاياه .. ولكى أقطع عليكم الطريق ولا أبلبل أفكاركم فأنا أدرك أن الحكم لا يمكن أن يستمر أو أن يستقر دون استعمال أكثر الوسائل دموية وكذبا وخداعا .. لكن ذلك كله ينبغى أن يغلف بغلاف أنيق .. غلاف يخفى ما بداخله .. وينكره ويستنكره مهما بلغت الأدلة الثبوتية عليه .. ولقد بلغ انزعاجى مبلغا عظيما عندما لاحظت أن بعضكم مثلا مارس بغباء منقطع النظير تزوير الانتخابات بطريقة لم تحدث فى التاريخ عندما استدعى جيشه كله ليحول بين الناس وبين الوصول إلى صندوق الانتخاب.. وكان العالم يرى ويصور ويعرض .. والغبىّ يظن أنه كسب المعركة بينما هو قد خسر شرعيته كلها فى نفس اللحظة .

أرجو أن تكونوا قد استوعبتم أسلوبى فى الشـرح .. وأننى لا أستـعـمل الألفـاظ بأى مدلول حقيقى .. وإنما أستعملها بالمدلول الذى اتفق الناس عليه .. وأننى فى هذا الصدد لا أعتـرف إلا بشرعيـة واحدة .. هى شرعيـة التغلب بأى وسيلة .. لكن هذه الوسيلة يجب أن يتم عرضـهـا بالجـلال المناسب .. وأن يتم التـوقف عن العرض كليا فى الوقت المناسب. إن النجـاح فى الحكم كـالنجـاح فى العمل أو الطعام أو الشراب أو المباريات أو الصداقة أو حتى العبادة .. وحتى .. حتى الحب .. فهذا النجاح يعتمد فى أحد أهم وجوهه على قدرة المرء واستـعداده للتوقف بينمـا لا تزال لديه الرغبة فى الاستمرار والقدرة عليه لكن دون الجلال المناسب .. إن هذه الخاصية موجودة فى الطب أيضـا .. فـهناك حكمـة طبيـة تقول إن الطبيب البارع ليس هو من يعلم متى يُقدم .. بل هو من يعرف متى يُحجم .

وعلى الرغم من كل ذلك الوضـوح فـإن هناك من لا يريد أن يتوقف أبدا حتى لو تحول إلى "مسخ" شائه مضحك ليقدم نموذجا هزليا مشوها للحكم .

ولقد شعرت بالخجل عندما سمح أحدكم بانتهاك أعراض النسـاء من رعاياه فى الشارع .. تحت كاميرات الفضائيات الفاضحة.. كان أمرا مشينا جدا .. جعلنى أشك فى قدرتى على الشرح لكم .. على تعليـمكم والتـأثير فيكم .. خاصة مع هذا الرجل .. الذى يستمع إلىّ بانتظام منذ أكثر من ربع قرن .

أريد أن أقول لكم شيئا هاما.. شيئا هاما جدا.. لا تنسوه أبدا .. وسوف أبدأ بضرب المثل كى تستوعبوا ما أقول .. إن أى داعرة لو اعترفت بأنها داعرة فإنها ستفقد إلى الأبد فرصتها فى حياة حرة شريفة وكريمة .. وأنا لا أطلب من هذه الداعرة أن تتوقف عن الدعارة .. بل أطلب منهـا أن تنكر دائمـا وعلى طول الخط أنها داعرة وأن تتصرف طول الوقت على أنهـا أكـثر النسـاء شـرفـا.. فـذلك .. وذلك فـقط.. هو الذى يزيد من سعرها فى عالم الدعارة والأشراف جميعـا .. إن عليهـا أن تراهن ليس على من يعرفون الحقيقة، بل على من يجهلونها .. وسوف يكون نجاحهـا شبه مطلق لو اقتصرت نسبة من يعرفون حقيقتها على ١٠٪ أو ٢٠٪ .

أرجـو أن تكونوا قـد تجـاوزتم سـذاجـة البدايات الأولى وألا يشعـر أحـدكم بالإهانة لتشبيهى إياكم بالداعرات. سيكون ذلك مضحكا إذا حدث .

إذن فالحاكم مهما كان .. ومهما فعل .. عليه أن يبدو مهيبا وقورا جليلا يتمسك بأهداب الأخلاق والشرف .. وأن يراهن طول الوقت على من يجهلون حقيقتـه لا على من يعرفونها .

لماذا كان عليك أيها العجوز الصغير أن تزوّر وأن تنتهك الأعراض تحت كاميرات الفضائيات .. لماذا لم تفعل ذلك وأضعافه فى الخفاء لتدّعى فى نفس الوقت أنه لم يحدث أبدا ولتندد بمن يدعيه وتتهمه بأبشع الصفات .. لماذا ؟..

نعود إلى مثل الداعرة .. نعود إلى المثل مكررين ما قلنا ففى التكرار إفادة لكم يا معشر الحكام .. إنها تعرف بالطبع أكثر من أى شخص آخر أنها داعرة .. كما أنها تعرف أن بعض الناس يعرفون أنها داعرة .. لكن كل رهانها يجب أن ينصب على من لا يعرفون. وفى اللحظة التى تصاب فيها هذه الداعرة

نحو وعى سياسى

بالانهيار فتظن أن الناس جميعا قد اكتشفوا سرها فقد انتهى أمرها .

كذلك الحاكم أو الملك أو الرئيس أو الأمير .. إنه يعرف أكثر من أى شخص آخر .. وأكثر من أشد معارضيه شراسة .. كما أنه بمقاييسهم ومصطلحاتهم التى اتفقنا منذ البداية أنها خطأ- يعرف بمقياس هذه المصطلحات أنه لص وجلاد وخائن ومجرم وعميل وربما شاذ وكافر أيضا .. ذلك كله لا يهم .. وليس له معنى .. وحين يدرك أن البعض يفهمه على هذه الحقيقة فإن ذلك لا يهم أيضا .. ما يهم .. هو عدد الناس الذين يستطيع إقناعهم بأن الأمر ليس كذلك .. بل إنه على العكس من ذلك .. وأن أعداءه هم المجرمون وهم الجلادون وهم اللصوص وهم الشواذ وهم الكفرة .. إن بقاء الحاكم فى مكانه يعتمد على هذه المعادلة .. على نسبة الناس الذين يستطيع خداعهم. وفى اللحظة التى يظن فيها أن الناس جميعا قد اكتشفوا أمره .. فقد انتهى أمره .. ليكون بقاؤه فى الحكم بقاء جثة ميت لم يدفن .. أما الخطأ الجوهرى الكامن فى هذا الموقف .. فهو أن الناس لا يمكن أن يتفقوا أبدا إلا بعد اعتراف صريح .. أما بدون هذا الاعتراف فإن من أعجب العجائب أن الناس مستعدون دائما لتصديق الكذاب وتكذيب الصادق .. وهذه قوة هائلة يحسن البعض استغلالها فترفعه إلى أعلى عليين ولا يدرك البعض إمكاناتها فترده أسفل سافلين - يعنى هذا أن الناس لن تجمع رأيها على الحاكم أبدا دون اعتراف صريح منه.- وما لم يدل بهذا التصريح فسوف تظل الغالبية أشد ميلا لتصديقه

إننى أدرك أبعاد الضعف الإنسانى .. كما أفهم الرغبة الكامنة عند كل إنسان على ظهر هذه الأرض فى الانتحار والاعتراف .. وهى رغبة لا يكاد يفلت منها أحد ولو لثانية واحدة طول عمره .. تحت وطأة هذا الضعف فإن الواحد منكم، والذى يعرف عن نفسه ما يعرف .. يظن أحيانا - فى نوع من الانهيار العصبى - أن الآخرين جميعهم قد عرفوا .. وأن أمره انكشف .. وأنه لم يعد لديه أى وقت كى يضيعه فى محاولات الإخفاء .. لذلك لا يتورع عن ارتكاب أمور مشينة وحقيرة .. كمنع الناخبين من الوصول إلى صناديق الانتخاب وانتهاك أعراض النساء فى الشارع .. وأرجو ألا يخطىء أحدكم فى فهمى .. أنا لا أستنكر الفعل .. بل أستنكر فعله فى العلن. إن مثل هذا الحاكم يهبط بجلال الحكم المفترض إلى مهانة لص يَهرَب أو قاطع طريق يواجه أعداءه بالسنجة والمطواة والمسدس .

والآن سوف أسألكم سؤالا هاما جدا راجيا أن يكون قد خطر ببال أحدكم على الأقل أن يوجهه إلى نفسه :

ماذا كبح هذه الوحوش المفترسة التى نسميها الناس - رغم كل ما فعلناه وما نفعله وما يعرفون أننا سنفعله بهم - عن افتراسكم؟

أنا أجيبكم :

لقد خدعناهم .. علمناهم أن الخضوع للقانون رمز للتحضر وأساس للتقدم .. لم يسألوا أى قانون ولماذا وماذا وكيف ؟.. وببساطة خضعوا للقانون، القانون الذى

وضعناه نحن كي نفترسهم به، فما القانون فى الحقيقة إلا قوتنا مقنَّعة .. ولقد وضعناه بديلا عن شريعة لم تعد تناسبنا .. نحن لم نقل للناس أبدا إن الدين خطأ أو أننا ضده .. لكننا باستمرار أمددناهم بقوانين تهدم بصورة فعلية لا تعصبهم الدينى فقط كما ادّعينا دائما .. بل تهدم دينهم ذاته دون أى تصريح منا أو اعتراف .. على أننا قد وضعنا القانون لا لنطبقه .. بل لنتظاهر أننا نطبقه كي يطبقوه هم .. وفى اللحظة التى نتوقف فيها عن هذا التظاهر فسوف يقلدوننا على الفور ويخرجون على القانون كما خرجنا نحن عليه .. وتكون النهاية المؤكدة .

على كل واحد منكم إذن أن يتظاهر باتباع القانون والدين والإخلاص لهما .. فذلك هو السبيل الوحيد للسيطرة على الرعاع .

لا تواجهوا الدين أبدا بل التفوا حوله .. هؤلاء الرعاع يظنون بفكرهم المنحط أن الاستعمار هو الذى خلع الشريعة من على عرشها .. لأن استمرارها كان يعنى قدرة الرعاع على المقاومة .. ويقينهم من الجدوى .. وأملهم فى الجزاء .. دعوهم يظنون ذلك .. لأن الاتهام إذا لم يوجه إلى الاستعمار فسوف يوجه إليكم .. ولتكونوا على بينة دائما من أن الشريعة أعدى أعدائنا .. وفى الوقت نفسه علينا ألا نكف عن التظاهر دائما أننا نطبق الشريعة.. بل وأننا حماتها .

إن قانون الطبيعة هو : الحق يكمن فى القوة .. والسعادة تكمن فى اللذة .. تلك هى الحقيقة وكل ما عداها هراء ..

هل يحسب بعضكم أننى بهذا أهدم الأخلاق والقيم والمبادئ والشرائع ؟..

كل هذا هراء .. نعم .. هراء تسرب إلى عقولكم من مفاهيم الرعاع والدهماء ..

دعونى أسألكم هذا السؤال :

لماذا لا يكون منافيا للأخلاق لدى دولة يتهددها عَدُوَّان أحدهما خارجي، والآخر داخلى - أن تستخدم وسائل دفاعية ضد الأول تختلف عن وسائلها الدفاعية ضد الآخر، وأن تضع خطط دفاع سرّية، وأن تهاجمه فى الليل أو بقوات أعظم ؟..

لماذا يكون منافيا للأخلاق لدى هذه الدولة أن تستخدم هذه الوسائل ضد العدو الخارجى ولا تستعملها ضد العدو الداخلى وهو الأخطر حتى من العدو الخارجى، فالعدو الخارجى قد يوكلكم فى الحكم نيابة عنه .. أما العدو الداخلى فإنه يحطم أسس حياتكم وأسس سعادتكم ؟.. نعم العدو الداخلى هو الأخطر وعليكم أن تعدوا له القوة الأكبر .. العدو الداخلى من المعارضين والرعاع والدهماء .. والغوغاء .. لا يوجد عند العدو الخارجى فدائيون .. ومعه أو ضده - تستطيع أن تحسب الأرباح والخسائر .. بل وتستطيع بدرجة عالية من الدقة أن تحسب الأفعال وردود الأفعال .. أما مع العدو الداخلى .. الغيبىّ الفدائىّ .. فأنت لا تستطيع أن تحسب أيا من ذلك .. إذ كيف تستطيع التصرف مع من يعتبر الموت فوزا .. وأنه يدخل الجنة مع أول قطرة تراق من دمه .. ثم إنك تستطيع أن تتفاهم مع العدو الخارجى .. وأن تتصالح وتتفاهم وتتعاون ولو ضد الأمة .. أما مع العدو الداخلى فإنك لا تستطيع أن تمارس أيا من ذاك .. ذلك أن أول ما يطلبه ذلك العدو هو رأسك .. والباقى بعد ذلك بالطبع لا يهم !

علينا أن نعلم أن الانتصار هو الحقيقة التى يجب أن نصل إليها .. وأن نعلم أن الانتصار

نحو وعى سياسى

مع العدو الخارجى لا يأتى إلا بالاستسلام له وتحقيق أغراضه ليحقق أغراضكم .. أما العدو الداخلى فالأمر يقتضى الترويض والالتفاف والتمزيق والفتنة والسحق .. وعليكم أن تستعملوا كل أنواع الأسلحة - بما فى ذلك أسلحة الدمار الشامل - فى الحالتين .. دون أن تعترفوا أبدا أنكم استعملتموها .. مهما كان حجم الأدلة ضدكم .

إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق فى شىء . والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسى بارع .. بل هو ليس بسياسى على الإطلاق .. وهو لذلك غير راسخ على عرشه .

لابد لطالب الحكم وكذلك لطالب الاستمرار فيه من الالتجاء إلى المكر والرياء، فإن الشمائل الإنسانية العظيمة من الإخلاص والأمانة تصير رذائل فى السياسة، وإنها لتبلغ فى زعزعة العرش أعظم مما يبلغه ألد الخصوم.

إن الغاية تبرر الوسيلة، وعلينا - ونحن نضع خططنا - ألا نلتفت إلى ما هو خيّر وأخلاقى بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضرورىّ ومفيد .

إن ما يحقق استقرارنا فى الحكم هو أن تكون السلطة فى قبضة شخص واحد مسئول . وبغير الاستبداد المطلق لا يمكن أن يستمر حكمنا .

يجب أن يكون شعارنا : كل وسائل العنف والخديعة .

إن القوة المحضة هى المنتصرة فى السياسة، وبخاصة إذا كانت مقنعة بالألمعية اللازمة لرجال الدولة .. يجب أن يكون العنف هو الأساس .. ويتحتم أن يكون ماكرا خداعا من يريد حكم تلك الفئات من الأمة التى تأبى أن تداس إرادتها تحت أقدامنا .. إن هذا الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدف الخير لكم ولأبنائكم وأحفادكم .. ولذلك يتحتم ألا نتردد لحظة واحدة فى أعمال الرشوة والخديعة والخيانة والتزوير إذا كانت تخدمنا فى تحقيق غايتنا وتضمن لنا الاستقرار والاستمرار .. لكننى فى الوقت ذاته أنبه وأحذر من أن يرى العدو الحقيقى وجهنا الحقيقى .. أعنى العدو الداخلى .. أو بالأحرى العدو الوحيد .

لست أعنى أن تتصرفوا كالوحوش الضوارى .. ولا كالحالمين السذج .. على العكس .. يجب أن تبدو عليكم كل مظاهر الرقة والتحضر والتهذيب ودماثة الأخلاق .. بل والوقار .. ذلك ضرورى .. جوهرى .. لذلك كان غضبى عظيما ودهشتى أعظم .. من ذلك الغبىّ الذى مزق أستار الجلال التى تغطى على بشاعة الحكم .. فأمر أغواته وخدمه بضرب الناس وقتلهم فى الشارع، والذى كون عصابات من البلطجية لكى يواجه بهم معارضيه والرافضين لحكمه .. الغبىّ .. فيم كانت المليارات التى أنفقت على التعليم والإعلام والقضاء والنيابة والثقافة إذن .. يجب أن تفهموا ذلك .. أن تفهموه بطريقة أفضل من ذلك .. ذلك أن من يفعل ذلك إنما يهين جلال الرئاسة ويهبط بمنصبه من رئيس مملكة إلى رئيس عصابة .. كان يستطيع أن يقتل من شاء .. لكن على يد النيابة والقضاء.

إن القوة محكومة بالقدرة .. وقدراتكم

محكومة بإجادة اللعب بين عدوين خطيرين: عدو الداخل وعدو الخارج.. عدو الخارج هو العالم كله عامة والبلاد الغربية على سبيل الخصوص .. أما عدو الداخل فهو شعوبكم كلها.. وأنتم بين شقى الرحى وتروس المفرمة.. لو اكتشف الغرب أنكم مخلصون لشعوبكم فسوف يسحقكم سحقا.. ثم إن لطاقة شعوبكم على الاحتمال حدودا ولو اكتشفت خيانتكم السافرة والكاملة لها فسوف تسحقكم هى الأخرى عليكم أن تفهموا أننى أستعمل الخيانة هنا بمفهوم الشعوب لا بمفهومنا نحن الذى يتلخص فى أن الخيانة ليست خيانة .. الخيانة تجارة .. والتجارة شطارة .. والأذكى من يحصل على أقصى ثمن .

عليكم أن تدركوا أننا بين احتمالات الانسحاقين علينا أن نعيش وأن نحكم .

إن عدو الخارج أقوى وأذكى وأخطر لذلك فهو الصحيح والمصيب والصادق أما شعوبنا فضعيفة لذلك فهى الخطأ والباطل والكذب .. علينا إذن أن نخلص كل الإخلاص للغرب لكن دون أن تكتشف شعوبنا ذلك .. علينا أن ندعى دائما الإخلاص لها والدفاع عنها .. أن نتشدق بأكثر الكلمات حماسة .. وأكثرها إيمانا .. علينا أن نلهب دائما عواطفهم وأن ندغدغ غرائزهم .. وأن نمنيهم .. سوف تكونون مجانين وحمقى لو تصورتم أن شعوبنا ستصدقنا .. ذلك خيال لا أمل لنا فيه .. لكن كل ما نسعى إليه أن نجعلها غير واثقة أبدا من خيانتنا لها .. وتلك هى المعادلة الصعبة .. أن تخدعوها طول الوقت.. ولن تستطيعوا خداعها طول الوقت إلا إذا أفرغتم جماجمهم من العقل وقلوبهم من الإيمان .

لكن .. كيف يمكن أن ننجح فى ذلك ؟. .

هل بالدبابات والمدافع ؟..

لا أنكر أن الدبابات والمدافع هى الضامن الوحيد والأخير لنا .. علينا إذن ألا نلجأ إلى خط دفاعنا الأخير إلا بعد أن نستنفد كل وسائل دفاعنا الأخرى .

لقد قلت لكم إن مفهوم الله مفهوم خطر .. إن الملوك على دين شعوبهم.. وإن عليكم أن تتجنبوا تجنبا مطلقا المواجهة المباشرة مع الله أو الدين . وقلت لكم أيضا إن عليكم أن تزلزلوا يقين شعوبكم وأن تفرغوا قلوبها من الإيمان ..

لعلكم تتساءلون الآن : كيف نفعل الشىء وضده فى نفس الوقت ؟!..

وأنا أقول لكم أنه ليس أمامكم إلا أن تفعلوا الشىء وضده فى نفس الوقت !!..

عليكم أن تثبتوا دائما أن ١+١ =٢ إذا كانت المعادلة تتعلق بكم .. أما إن كانت تتعلق بشعوبكم فيجب أن تكون النتيجة صفرا .. مهما تكررت عمليات الجمع .. حتى لو تكررت مليارا ونصف مليار مرة .. ولكى تصلوا إلى ذلك فإن عليكم أن تسحقوا سحقا لا رحمة فيه مؤسسات المجتمع المدنى التى تحاول أن تتحدث باسم الأمة .. عليكم أن تسحقوا النقابات والأحزاب والهيئات والمنظمات .. لكن ذلك لا بد أن يتم بذكاء لا بغباء .. وأصارحكم القول أننى يمكن .. أن أقبل كل أنواع الجرائم عندما تكون مبررة وعندما تعود عليكم بالخير وأفهمها وأرحب بها وأقدرها .. لكن الجريمة التى لا أقبلها أبدا .. ولا أجد لها مبررا أبدا ولا أغفرها أبدا هى جريمة الغباء .. لكن يجب أن أشير الآن

أنه حتى الغباء فإننا نستفيد منه فى بعض الأحيان .. ذلك أن للغباء قوة مدمرة هائلة إن لم نفهمها أفسدت خططنا .. كما أن تقديم بعض النماذج الغبية ستجعل العامة تنبهر بالأذكياء .. وفيما نتحدث فيه على سبيل المثال.. فإنه لا يكفى القضاء على منظمات المجتمع المدنى .. وإنما يجب قبلها أن ننشئ منظماتنا البديلة ولا أقول العميلة .. وأن نغرق عملاءنا فيها بالملايين .. إلى الدرجة التى تجعلهم مستعدين للدفاع عنا بدمائهم .. عليكم أن تسيطروا تماما على الصحف والقضاء والنيابة والأمن والجيش .. وسوف أتحدث بإسهاب عن كل ذلك .. لكن الأهم من ذلك كله أن تؤمّنوا ظهوركم من الدين .. إن فتوى واحدة لشيخ قد تقضى ببيعكم كعبيد .. ولما كنا لا نستطيع مع بالغ الأسف - تغيير الدين نفسه فلابد أن نبحث عن سبيل آخر .

نحن لا نستطيع بالطبع أن نجعل كل الشيوخ تابعين لنا .. لكن ما نستطيعه هو أن نختار من بين التابعين فقط من نمنحه حق الإفتاء ورؤساء الشيوخ ورئيس الرؤساء .. ألا نسمح إلا لأتباعنا بالظهور على شاشات التلفاز أو الحديث على موجات الراديو أو الكتابة فى صحفنا الرسمية أو تلك التابعة لنا لكننا ندعى أنها غير رسمية .. ثم إن علينا أن نحاصر من يرفضون الخضوع لنا .. أن نمنعهم من الخطابة فى المساجد أو حتى الاجتماع بالناس .. أن ندينهم بالخيانة والمروق .. أن نحيلهم لمحاكمنا الاستثنائية.. أن نضيق عليهم كل سبيل .. أن نتهمهم حتى بالكفر .. لكننا لو فعلنا هذا بأنفسنا لاكتشفت الأمة حقيقتنا .. لذلك يجب أن يتصدى لإدانة معارضينا من رجال الدين كبار المشايخ التابعين لنا .. فهنا لن نكون مسئولين أمام الناس عما يحدث .. ولا حتى مشايخنا الذين تتحرك ألسنتهم بما يدور فى رؤوسنا لن يكونوا مسئولين .. سيكون الدين هو الذى يدين المتمردين بالخيانة والمروق والكفر .. تذكروا ذلك .. لنعترف .. أن الدين بالنسبة لنا مصدر خطر ماحق على المدى البعيد .. لكننا إن طوعناه لصالحنا فسوف يصبح ذا فوائد لا تنضب. ولمن أراد أن يهدمه أن يعرف أنه إذا حاول ذلك بنفسه فسوف يقصمه .. فلن يهدم الدين إلا الشيوخ وعلماء الدين .. ركزوا على هذه النقطة ولا تنسوها أبدا .. ولا ترتعبوا من تشدد بعضهم وتطرفه .. فإنكم ستحصدون أكبر المنافع من أكثر المتشددين .

هل تذكرون القس چيمى سواجارت ؟ رجل الدين المفوه والخطيب العظيم الذى أعاد مجد خطابة شيشيرون .. هل تذكرون جولاته فى أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية والشعبية الهائلة التى حققها.. كيف أشعل مشاعر الجماهير وكيف اتبعه الملايين ؟ .. هل تذكرون صرخاته التى استولت على القلوب والعقول :

No Sex before marriage and no sex outside marriage.

"لا جنس قبل الزواج ولا جنس خارج الزواج" .

هل تذكرون صرخاته وهو يهاجم رقص الشباب بجميع صوره ويهاجم الخلاعة والفنون

ومدينة هوليود ويعتبرها بؤرة من بؤر الفساد في العالم ..

هل تذكرون حواراته الصاخبة مع الداعية الإسلامي أحمد ديدات ؟.. هل تذكرون سخريته وتهكمه من قوانين الزواج والطلاق عند المسلمين ؟.. مقارنا إياها بالديانة المسيحية التي تحتم على المسيحي أن يحصل على أفضل طائر له من الطلقة الأولى (يعني اختيار زوجته) .

هل تذكرون ما حدث له بعد ذلك ؟

هل تذكرون فضيحته .. فضيحته الجنسية المدوية بعد أن ابتزته العاهرة التي كان يعاشرها ، والتي كان يخصص لها رحلتين شهريتين للاتصال بها بطريقة شاذة لإشباع رغباته ونزواته .

هل تذكرون ما حدث بعد ذلك من توالي الفضائح الجنسية على قساوسة آخرين كانوا يعملون ببرامج الدعوة الدينية في التليفزيون الأمريكي مثل القس جيم بيكر والقس مارفن كورميج وآخرين ..

لعلكم سمعتم عن كل ذلك أو عن بعضه .. لكن الذي لا تعلمونه أن العاهرة لم تفضح القسيس بسبب الاختلاف على الثمن ولا حتى بسبب الغيرة .. العاهرة كانت موظفة من المخابرات.. والقسيس اندمج في الدور ونسي أنه "موظف" يأتمر بأمر الحاكم لا بأمر الله.. لذلك حدث له ما حدث .

أريدكم أن تبحثوا عن شيوخ من هذا النوع تسندون إليهم مناصب المشيخة الكبرى .. النوع الذي يكف عن الإحساس بأنه يتحدث باسم الله ويقنع بأنه مجرد "موظف" لدينا .. موظف يساعدنا على الدوام على إماطة القداسة عن المقدس .. موظف يتحدى المعلوم بالضرورة بمعاونة الشيوخ .. فمثل هذا النوع هو الذي تستطيعون ابتزازه وتهديده باستمرار كي يضع لكم خاتم الحق الإلهي على قراراتكم ومشروعاتكم .. كي تبدو أمام الدهماء أنها ليست قوانينكم التي ابتدعتموها لتحطيم مؤسسات المجتمع وإنما قوانين الله .. وسوف يتيح هذا لكم أن تحولوا معارضي تلك القوانين إلى إرهابيين أو كفار .. مثلُ هذا "الموظف" هو الذي يحلل لنا الحرام ويحرم الحلال .. وليس أمامكم مفر من أن يحتل هذا النمط المناصب الدينية الرئيسية الكبرى .

وليس يسعني في هذا المجال إلا أن أوجه الشكر والتحية إلى معظمكم .. فقد كان أداؤكم في عالم الشيوخ رائعا ، وإنني أعرف العديدين منكم الذين ظلوا عشرين أو حتى ثلاثين عاما .. ينتقون من الشيوخ الأسوأ فالأسوأ ليولوه المنصب الأعلى فالأعلى .. حتى وصل الأمر ببعض الأماكن في النهاية أنه لم يعد يدعو للدين إلا كافر ولم يعد يدافع عنه إلا عميل .. أما الدعاة الحقيقيون فقد نجحتم نجاحا رائعا في وصمهم جميعا بالجهل والتخلف والإرهاب .. نعم .. كانت نتائجكم أكثر من رائعة .. وأكثر حتى مما توقعناه .. لقد كان جهل الناس عظيما .. ولم يدهشنا ذلك.. أما الذي أدهشنا حقا فقد كان تصديق الناس لنا .. ربما نناقش في لقاء آخر هل صدقونا بالفعل ؟.. أم أننا وصلنا بهم إلى درجة من الإعياء واليأس والعجز بحيث كانوا كالغريق الذي يبحث عن قشة على أمل أن تنقذه من الغرق غير مدرك أنها -القشة- سبيله إليه .. وعلى أي حال من الأحوال ذلك فرق أكاديمي لا يهمنا الآن .. لكن الذي يهمنا ، والذي اكتشفناه بالمصادفة .. وعلينا

أن نستثمره حتى حده الأقصى .. هو أننا عندما حولنا الشيوخ التابعين لنا إلى عبيد لنا لا لله .. فقد اختلفت المشارب والتوجهات .. كان ذلك طبيعيا ومنطقيا لكننا لم نفطن إليه فى وقته .. ولقد ترتبت عليه نتائج هائلة .. كارثية هائلة على الرعاع ومبهرة لنا .. كان كل شيخ من هؤلاء الشيوخ ينفذ سياسة واحد منا .. ولما كنا مختلفين فى الوسائل لا فى الغايات فقد اختلف شيوخنا .. ولما كان لكل شيخ منهم أتباعه ومريدوه فقد انقسم الأتباع والمريدون كما انقسم الشيوخ .. وازداد تشرذم المجتمع شيعا وفرقا وتضاعف ضعف الناس .

●●●

عندما وصلت إلى هذا المدى من قراءة البروتوكولات تمزق قلبى وانهد كيانى .

كيف قضيت عمرى كله فى هذا الظلام وأنا أظن أنه نور .

كيف صدقت هذه الأكاذيب كلها وأنا أحسب أنها الصدق .

كيف تعرضت لهذه الخيانات كلها وأنا أظن أنها الأمانة .

كيف سرقنى من كنت أظنه أنه الأمين .. وكيف ذبحنى من ظننته يحمينى .

يا ألله ..

الحامى غول .. والهدى مضل .. والخائن مؤتمن .. والجلد فاجر .. والثقة ضعيف .

كنت أبكى على نفسى ..

فماذا إذن عن الشيخ ..

هل كان كما يصفون ؟..

يا ألله ..

لطالما صليت خلف شيخ بلدتنا ولطالما صمت على رؤيته وتعبدت على فتاواه ..

كنت أرتجف وكنت أنوح :

وكنت أخاطب شيخى فى خيالى .. إذ لم أكن أجرؤ على مواجهته فقد يكون واحدا من العسس السرّيين .

كنت أقول :

– لو كنت واحدا من الشيوخ "الموظفين" فقد أفسدت علينا آخرتنا بعد أن ضيعت علينا الدنيا ..

ورحت أردد :

أفسد الآخرة وضيع الدنيا ..

أفسد الآخرة وضيع الدنيا ..

أفسد الآخرة وضيع الدنيا ..

د. محمد عباس

تقرير: ضوء أخضر للخليج لتغيير ربط عملاته بالدولار

أفاد تقرير لبنك ميريل لينش الاستثماري الأمريكي، أن الولايات المتحدة أعطت بالفعل الضوء الأخضر للدول العربية في الخليج لإجراء تغييرات في سياسات أسعار صرف عملاتها المرتبطة بالدولار.

وقال تقرير بعنوان "ضوء أخضر أمريكي لمجلس التعاون الخليجي": "إن من المحتمل أن تربط الإمارات وقطر عملاتها بسلة عملات في الشهور القادمة، وأن ترتفع عملة كل منهما بنسبة ٥٪ قبل نهاية العام. لكن التقرير أشار في الوقت ذاته إلى أنه من غير المرجح أن تسير السعودية على هذا النهج قبل حلول أواخر العام القادم .. واستناداً لتقرير للخزانة الأمريكية للكونجرس الذي تضمن للمرة الأولى وفقًا لصحيفة الوسط إشارة إلى مسائل العملة والتضخم في دول مجلس التعاون الخليجي الست، أفاد ميريل لينش أن الحكومة الأمريكية أصبحت أكثر ثقة إزاء التوقعات بالنسبة للدولار، ولذلك لم تعد تحتاج بالضرورة لدعم خليجي لعملتها. وأضاف البنك "نعتقد أن التضمين يعطي فعليًا دول مجلس التعاون الخليجي الضوء الأخضر للتغيير".

وزاد طلب المستثمرين على عملات الخليج منذ سبتمبر الماضي وسط توقعات بأن بعض الدول ستنهي ارتباطها بالدولار الذي تراجع لمستويات قياسية أمام اليورو. وأشار ميريل لينش إلى أنه ربما تكون هناك بعض القيود السياسية الداخلية على إجراء تغيير بشأن العملة، لكن في نهاية الأمر "ستضطر الأسواق وعدد من دول مجلس التعاون الخليجي إلى السماح بارتفاع عملاتهم" .. وأضاف البنك "في هذه المرحلة نعتقد أن الفائدة محدودة للسلطات في الإبقاء على تخفيض القيمة المعتادة في مواجهة التكاليف المتزايدة لنظام سعر الصرف المرتبط بالدولار"..

توقعات بارتفاع التضخم فى دول الخليج

وأظهر استطلاع أجرته رويترز أوائل الشهر الحالي أن التضخم في دول الخليج قد يرتفع إلى ٩٪ على الأقل هذا العام مع ارتفاع الإيجارات والأسعار العالمية للسلع، وتراجع أسعار الفائدة ما يزيد عمليات الإقراض. وكشف الاستطلاع أن متوسط التضخم بالسعودية، وهي أكبر مصدر للنفط بالعالم، قد يصل على الأقل إلى أعلى قمة في ثلاثين عامًا عند ٩٪ في المتوسط، بالمقارنة مع ٤,١٪ العام الماضي. كما أظهر أن التضخم في عُمان سيقفز إلى مستوى قياسي يبلغ ١١٪، ويكون متوسطه ٩,٣٪ هذا العام. وفي الإمارات وقطر، سيرتفع التضخم قليلاً حيث سيخفف المعروض في مجال الإسكان الضغط على الإيجارات في البلدين. وسيبقى التضخم في قطر الأعلى بالمنطقة هذا العام بمتوسط ١٣,٨٪ متساويًا مع متوسط ٢٠٠٧، وسيتراجع إلى ١٣,٣٪ بالربع الأخير. وسيرتفع التضخم بالإمارات إلى ١١,٨٪ هذا العام مقارنة مع ١١,٤٪ العام الماضي، وهي أعلى قمة في عشرين عامًا على الأقل.

إعداد: أسامة حسن عاشور

آخر الكلام

فتوى أبى العينين

- يا أبا العينين .. ما فتواك فى هذا الغلام ؟
- هل دعا- فى قلبه - يوماً إلى قلب النظام ؟
- لا ..
- وهل جاهر بالتفكير أثناء الصيام ؟
- لا ..
- وهل شُوهِدَ يمشى للأمام ؟
- لا ..
- إذن صلى صلاة الشافعية .
- لا ..
- إذن أنكر أن الأرض ليست كروية .
- لا ..
- ألا يبدو مُصابا بالزكام ؟
- لا ..

- لنفرض أنه نام
وفى النوم رأى حلماً
وفى الحلم أراد الابتسام .

- لم ينم مُنذ اعتقلناه ..

- إذن .. متهم دون اتهام !
بدعة واضحة مثل الظلام .
اقطعوا لى رأسه

- لكنه قام يصلى ..

- هل سَنُلغى الشرع .
من أجل صلاة ابن الحرام ؟!
كل شئٍ وله شئ ..

- تمام .

صدرت فتوى الإمام :
(يُقطع الرأس
وتبقى جُثة الوغد تُصلى
آه .. ياللى .
والسلام) !

أحمد مطر

المختار الإسلامى
مجلة كل المسلمين
تصدر عن
جمعية المختار الإسلامى
المسجلة بوزارة الشئون الاجتماعية
٣ حارة الجمل
متفرع من ميدان السيدة زينب
اسسها حسين عاشور
(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩)
تصدر غرة كل شهر عربى
رقم الإيداع ٦٠٧٠ / ١٩٧٩
المشرف العام
حسين عاشور
رئيس التحرير
د . محمد مورو
سكرتير التحرير
حنان حسين عاشور
الإشراف الفنى
على عبيد
الإدارة والتحرير
٣ حارة الجمل
متفرع من ميدان السيدة زينب
تليفون : ٢٣٩٢٢١٥١
فاكس : ٢٣٩٢٢١٥١
الاشتراك السنوى :
داخل مصر ٥٠ جنيها
خارج مصر ٥٠ دولارا أمريكيا
المراسلات والحوالات والشيكات باسم
حنان حسين أحمد عاشور
بريد إليكترونى
alim_ebeid@yahoo.com
mokh_51@yahoo.com